من الأدب الساخر

تأملات مصرية ساخرة

مكتبة الدار العربية للكتاب

24 ش الدكتور حسن إبراهيم متفرع من مكرم عبيد ص.ب 7584 الحى الثامن ـ مدينة نصر. تليفون وفاكس : 2741721
e - mail ALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

جمع : كلمات ـ 5828636
طبع : أمون ـ 7944517 / 7944356

رقم الإيداع : 1546 / 2002
الترقيم الدولى : 2 - 122 - 293 - 977
الطبعة الأولى : شوال 1422 هـ ـ يناير 2002 م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

من الأدب الساخر

تأملات مصرية ساخرة

فايز فرح

مكتبة الدار العربية للكتاب

الإهداء

إلى أعضاء أسرتي الجدد ..

حفيديّ العزيزين : نبيل .. و .. دانيال

عادل واصف ..

وأمنيات بأن تكون لهما علاقة بالوطن الأم

مصر ، على الرغم من وجودهما في كندا .

فايز فرح

فهرس الكتاب

* الإهداء ٥
* المقدمـة ٩
١ - افرحوا تصحوا ١١
٢ - من يقرأ ومن يسمع ١٧
٣ - ليس بالجامعة وحدها يتعلم الإنسان ٢١
٤ - ليس بالشرطة وحدها يتحقق الانضباط ٢٧
٥ - الانضباط والاعتباط ٣٣
٦ - أطفال البانشى ٣٨
٧ - الرقص مفتاح الفرج ٤٣
٨ - الأغنية الشبابية والحركات الهستيرية ٤٩
٩ - الحصيف لا يمشى على الرصيف ٥٦
١٠ - الخصخصة والمضحكة ٦١
١١ - الخصخصة والمرمطة ٦٦
١٢ - يا لحمة يا غرامى ٧٠
١٣ - السيمفونية المصرية الناقصة ٧٨

١٤ ـ الانتماء المفقود كيف نعيده؟ ٨٣
١٥ ـ فى أمريكا يضربونها ٨٧
١٦ ـ الرحمة يا ملائكة الرحمة ٩٢
١٧ ـ عزيزة تدخن الشيشة ٩٦
١٨ ـ الوجودية والملوخية ١٠٢
١٩ ـ أرجوك لا تقبّلنى أو تعانقنى ١١٣
٢٠ ـ ارحمونا من الطرش المستعجل ١٢١
٢١ ـ أيها السادة احذروا التوقيع ١٢٦
٢٢ ـ عفواً معالى الوزير ١٣٢
٢٣ ـ وضاع المصيف يا ولدى ١٣٦
٢٤ ـ المحمول والمخبول ١٤١
٢٥ ـ يا مطرة رُخّى رُخّى ١٤٧
٢٦ ـ ما زال المصريون فراعنة ١٥١

مقدمـــة

يقول الشاعر والفيلسوف الفرنسى « فولتير » : « أنا أضحك حتى لا أصاب بالجنون . . » ، ونقول فى أمثالنا : « شر البلية ما يضحك» ، والحياة فى مجملها - كما يقول الفيلسوف «أنامونو» - «أشجان وأتعاب وأسيان» ، ولكن هل نستسلم للأوجاع والأتعاب والأمراض ، بل والمصائب ؟

فى رأيى أن أجمل ما فى الدنيا أن تعاركها وتلاطفها ولا تستسلم لوجهها القبيح ، وإنما تبحث عن وجهها المشرق دائمًا ، الجميل الحلو ، وتتمسك به ، وتبحث عن سعادتك بنفسك وتحققها . . ألا تذكر الشاعر الفيلسوف « إيليا أبو ماضى » وقوله : « كن جميلاً تر الوجود جميلاً . . »، ثم الشاعر صالح جودت وقوله : « اضحك من الدنيا ومن فيها . . تضحك لك الدنيا وما فيها » ؟

إن الضحك ضرورة ، والسخرية هى قمة الضحك ، لأنها الضحك على سلبياتنا ومشاكلنا بهدف التخلص منها والاتجاه فى الطريق المستقيم . كان نجيب الريحانى فنانًا فيلسوفًا لأنه سخر من

عاداتنا وتقاليدنا البالية، وأضحكنا كثيراً بهدف التخلص منها . الإنسان المصرى عاشق للحياة طوال تاريخه الممتد إلى آلاف السنين ، وكما يقول العالم «جوستاف لوبون» : « إن الظرف والمرح والتلطف من أبرز خصال المصريين القدماء » ، أضيف : والمصريين المعاصرين أيضًا، فلم ينس المصرى مرحه وضحكه وسخريته حتى الآن ، نعم هناك مشاكل ومتاعب ومنغصات، ومع ذلك لابد أن نضحك ونفرح ونمرح حتى نستطيع أن نحل هذه المشاكل ، ولماذا نتخلى عن سلاحنا القوى فى الدفاع عن حياتنا والمحافظة على صحة نفوسنا ؟ . . وأقصد به النكتة والضحكة التى برع فيها المصرى . . وما زال .

وهذه بعض تأملات العبد ‹ الغلبان فى المجتمع المصرى الحالى ، تأملات فى الشارع المصرى الذى يموج بتغيرات وتحولات عظيمة بعضها صالح وبعضها الآخر طالح ، والهدف هو أن نضع أيدينا على السلبيات ، وأن نَسخَر من كل شىء سيئ حتى نصل إلى المجتمع الصالح الذى يُحترم كلُّ مواطن فيه ، ويُعطى كلُّ واحد حقه ، ويتمتع بحريته الكاملة كإنسان . وأقولها بصراحة ، دون مبالغة ، إننا ننعم ونتمتع بالحرية الحقيقية فى عصر الزعيم حسنى مبارك ، وهذه واحدة من السمات التى تجعلنا نحب هذا الرجل الذى أحبنا وأعطانا حقنا الأول فى الحياة كآدميين ، وهو الحرية . . .

فايز فرح

افرحوا تصحوا

كل الخليقة تئن وتتوجع ، أصبحنا نسمع يوميًا أصوات الصراخ والعويل والرصاص والتدمير ، اختفت من حياتنا الضحكات العالية والزغاريد المدوية والبلابل المغردة، يحدث هذا فى العالم كله ، أما فى مصر فنحن نبالغ فى كل شىء، ومن هنا كان الحزن والشجن والنكد والغضب والكآبة والإحباط والتجهم وعدم الرحمة هو الخبز اليومى الذى - للأسف - نتناوله ، وأصبحنا نخاف من الضحك ، فإذا حدث وتعالت الضحكة ، أو استمرت إلى دقائق قليلة ، نقتلها فى الحال مرددين . . اللهم اجعله خيراً . . . !

حقيقة أن الحياة أصبحت صعبة ، مليئة بالمشاكل ، حافلة بالمصائب، مكتظة بالحقد والكراهية وعدم حب الآخرين، ومع ذلك لابد أن نتفاءل ونحاول إعادة البسمة إلى وجوه الجميع ، ودفع الفرحة فى قلوب الآخرين ؛ والحديث الشريف يقول ما معناه :

« روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت»، وإذا عميت فقدت صوابها . ونحن نحتاج إلى أن نتأمل فى

حياتنا لحظة ، بل لحظات؛ لنعرف أسباب القرف والقلق والنكد والقسوة التى نعيشها ، ونحاول أن نملك حياتنا ونقررها ، لا أنْ ندع الحياة تملكنا وتعصف بنا ، وتقذفنا فى كل اتجاه !

حقيقة أن القدر يدفعنا إلى الأهوال - أحيانًا - على الرغم منا ، ولكن لماذا لا نحاول الإيمان حتى بالقدر ، وكأنه إرادتنا وهدفنا ؟

كن جميلاً تَرَ الوجود جميلاً

الإنسان له أهداف وأطماع وأمنيات كثيرة ، لا أحد يتواضع فى مطالبه من الحياة ، وفى نفس الوقت لا أحد يحقق كل ما يريد ويتمنى ويُقدِّر ، فالمثالية والكمال غير متوافرين فى الحياة ، والذى يحقق نصف أمنياته وطموحاته فهو بطل أو يكاد . . ولذلك فإذا لم تكن ما تريد ، أرد ما هو كائن ، حتى لا تهرب السعادة من نفسك . . افرح واسعد بما أنت فيه ، ولا تَتَخَلَّ عن أمنياتك وطموحاتك ، بل حاول مرة وأُخرى ، فالحياة دائمًا محاولات . . انظر لمن حولك ، فستجد أنك بخير وسعادة وفرح أكثر منهم . اقرأ هذه الأبيات للشاعر الفيلسوف إيليا أبو ماضى:

« كم تشتكى وتقول إنك معدم

والأرض ملكك والسما والأنجمُ

ولك الحقولُ وزهرها وأريجها
ونسيمهـا والبلبـل المتـرنمُ
والماءُ حـولك فضـة رقـراقـة
والشمس فوقك عسجد يتضرمُ

* * *

هشت لك الدنيا فمالك واجمًا ؟
وتبسمت فعـلام لا تتبسـمُ ؟
إن كنت مكتئبًا لعـز قـد مضى
هيهـات يرجعـه إليـك تنـدمُ
أو كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهـات يمنـع أن تحـل تجهـمُ
أنظر فما زالت تطل من الثرى
صـرر تكـاد لحسنهـا تتكلمُ
ما بين أشجار كأن غصونها
أيـد تصفـق تـارة وتسلّـمُ
وعيـون مـاء دافقـات في الثرى
تشفي السقيم كأنما هي زمزمُ »

* * *

«أيهـذا الشاكـي وما بك داءُ
كن جميلاً تر الوجود جميلا »

* * *

أن تنظر إلى الحياة نظرة جميلة متفائلة سعيدة ، فإنها ستكون كذلك ، بلا شك ، وعلى الرغم من كل شيء . . فنحن نقصف عمرنا ، ونصيب أنفسنا بأمراض كثيرة عندما نستسلم للاكتئاب والحزن واليأس، مع أننا نردد دائمًا مقولة الزعيم الوطنى الثائر مصطفى كامل : « لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة » .

النكد يُقصر العمر

من الضرورى إذن أن نهرب من كل شيء ينغص حياتنا وينكد علينا ، ويدفع الحزن إلى قلوبنا . قال لى صديقى الطبيب المثقف جداً الدكتور وسيم رشدى السيسى مستشار جراحة المسالك بمستشفى الساحل التعليمى : إن متوسط عمر الإنسان علميًا هو ١٢٥ سنة ، لأن الكائن الحى يعيش بقدر فترة تكوين هيكله العظمى خمس مرات . . فمثلاً الكلب يتكون هيكله العظمى فى ثلاث سنوات ، فإذا ضربناها فى خمسة يكون متوسط عمره ١٥ سنة . . وهذه حقيقة. كذلك الحصان يتكون هيكله العظمى فى أربع سنوات ، فإذا ضربنا الرقم فى خمسة، يكون متوسط عمر الحصان ٢٠ سنة ، أما الإنسان فإن هيكله العظمى يكتمل فى سن ٢٥ سنة ، وبضرب هذا الرقم فى خمسة ، يصبح متوسط عمر الإنسان ١٢٥ سنة ، وهذا الرقم ليس غريبًا على البشر، فهناك من الأنبياء من عاشوا ألف سنة ، وهناك من

البشر الآن من يعيش حوالى ١٥٠ سنة ، وبخاصة فى جنوب آسيا. أما أهم أسباب طول العمر والتمتع بالصحة والعافية فهو الفرح والمرح ومحاولة الإنسان إسعاد نفسه بكل الطرق ، والهرب من الحزن والنكد، ومعاملة الناس بالحب والرحمة ، وتقدير ظروفهم ، والكلمة الطيبة بلا شك صدقة .

قال لى الأستاذ الدكتور خيرى السمرة ، عميد كلية طب القاهرة الأسبق، رحمه الله: الناس أحيانًا تقتل بعضها دون أن تدرى ، فالقسوة والألفاظ الجارحة والكلمات الغليظة لها مفعول السُم أحيانًا مع بعض الناس ، فهناك إنسان يموت كمدًا إذا سمع رئيسه فى العمل، أو جاره يقذفه بكلمات مسيئة ، وينسب له اتهامات غير موضوعية .

لهذا علينا أن نحب الآخرين ونعاملهم كما نحب أن يعاملونا أيضًا، كذلك لن يخسر الإنسان شيئًا لو حاول أن يبتسم فى وجه الآخرين، بل سيكسب الكثير ، وعلى الأقل سيكسب أصدقاءً جددًا، والصداقة ثروة ، والناس مع الناس رحمة ، وجنة من غير ناس ما تُداس . . وقد أثبت العلم أن الإنسان غير المحب الحاقد الحاسد عدو نفسه ، يأكل نفسه بنفسه ، كما يقول المثل الإنجليزى «لا تأكل نفسك» ،وذلك لأن شدة الكراهية والحقد يزيد من إفراز المعدة لمادة حامض (الأيدرولوريك) التى تسبب أمراض القرحة وعسر الهضم والتهاب الاثنى عشر .

والأطباء يقولون دائمًا فى حديث لا يخلو من طرافة : لو نستطيع كتابة ضرورة الضحك والفرح والمرح فى الروشتة، قبل الأكل وبعده، وعلى الريق صباحًا لمدة نصف ساعة لفعلنا ، فالضحك والفرح والمرح أسلحة دفاع ضد كل الأمراض ، حتى الخبيث منها ، والإنسان الذى يعيش فى سلام مع ربه ونفسه يتمتع حتمًا بصحة جيدة ، فالإيمان باللهيدفع الإنسان إلى التفاؤل ، فإذا كان الله معنا فمن علينا إذن ؟ وإذا كنا نؤمن بالله حقًا فلماذا نحزن ونكتئب ونقلق ، وهو الذى يُعطى كل كائن طعامه حتى الكائنات التى لا نراها ولا نعرفها؟

وليس معنى الإيمان بالله ألا نعمل ، بل لابد أن نعمل ونستخدم العقل ، ونملأ الكون بعملنا، ثم نرضى بما قسمه لنا اللهمن خير وفير، ثم نفرح ونمرح وننطلق لنتمتع بهذا الكون العظيم الذى خلقه اللهلنا ، ننطلق إلى الشواطئ والبحار والأنهار والحدائق الغنَّاء، والصحراء الرائعة ، لنأكل ونشرب ونغنى ونسمع الموسيقى، ونلتقى فى الحفلات والمناسبات السعيدة ، ونضحك من أعماق قلوبنا ، وننسى همومنا ومشاكلنا، فالحياة حلوة على الرغم من كل شىء ، والكون جميل ، لأن اللهسبحانه وتعالى أبدعه فى ستة أيام، ليكن شعارنا الحب ، وفلسفتنا خدمة الآخرين ، وإيماننا هو العيش الكريم الفَرِح المرح ، البعيد عن الحزن والكآبة والمرض اللعين ، ولنتفاءل حتى الموتَ ، بل نتفاءل بالموت ذاته .

من يقرأ .. ومن يسمع ؟

قبل رحيله بسنوات قليلة امتنع الكاتب الراحل الدكتور يوسف إدريس عن الكتابة ، وقال فى أسباب ذلك : إنه إذا كانت الكلمة لا تُجدى أو تُسمع أو تُقرأ أو يكون لها صدًى أو نتيجة فالأوْلى بالكُتّاب أن يتوقفوا عنها ، لأن المسألة ليست مجرد مقالات نملأُ بها الصحف والسلام . .

ومنذ سنوات ، وبالتحديد فى ٢١ يونيو سنة ١٩٩٥، كتب الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور فى عموده اليومى بصحيفة الأهرام الغراء . . كتب يقول :

« لا أريد أن أعيد وأزيد فى الكلام عن الصبغة والألوان التى نستخدمها فى الحلويات . وخصوصًا (عروس المولد) التى هى سُم مؤكد ، وسم يؤدى إلى الإصابة بالسرطان . ليس هذا رأيى ولكن رأى العلماء المصريين فى المعاهد العلمية . وقد كتبت كثيراً وحذرت . ولكن النتيجة صفر . . صفر لحسابى أنا فى هذه القضية ، فلا

اختفت العروس ولا زالت ألوانها الملعلطة . . وهذا اللون اسمه أيضًا (اللعطى) أى الأحمر الدموى ، ثم الألوان الكيماوية التى نستخدمها فى صناعة الشيكولاتة والآيس كريم والفستق والسودانى وغير ذلك من الأطعمة . . وسألت أهل الذكر : ما الذى يفعلونه فى أوربا وأمريكا؟ فقالوا : مستحيل استخدام مثل هذه الألوان المصرية المخالفة لجميع المقاييس الدولية الصحية . . أمّا كيف ؟ فنحن فى مصر نعرف الصح والخطأ ، ولكن نفضل الخطأ لأنه أرخص . . ولأنه يختصر الأطفال ؛ فنوفر على آبائهم وعلى الدولة تكاليف إعاشتهم ! » .

والأستاذ أنيس منصور يتحدث هنا عن قضية الألوان والسرطان ، وقد أثار قبل ذلك قضية تلوث النيل الذى زاد نسبة مرضى الفشل الكلوى وأمراض أخرى .

والدكتور يوسف إدريس والأستاذ أنيس منصور وغيرهما من الكتاب يتعجبون من عدم الاهتمام بما يُكتب ، عدم القراءة أو السماع ، والعجيب أن المسئولين عن حل هذه القضايا الهامة التى تمس حياة الملايين من المواطنين يصنعون ـ كما يقول المثل ـ أذنًا من طين والأخرى من عجين ، وكأن أحدًا لم يكتب شيئًا ! أو كأن ما يكتبه الكُتَّاب والصحفيون مجرد كلام جرايد لا فائدة منه . القضية لا تقتصر على الصحافة وحسب ، بل لقد أثارت التليفزيونية الناجحة

ملك إسماعيل قضية خطيرة أخرى هى قضية الأكياس البلاستيك السوداء وكيف أنها مصنوعة من القمامة ، وبعضها غنى بالمواد التى تسبب السرطان ، ولم يهتم أحد بالبرنامج أو لم نجد مسئولاً يتصدى لعلاج المشكلة ، وكأن صحة الناس لا تهم الدولة ، ووزارة الصحة بالذات.

لابد من التعاون لصالح المواطن

المشاكل جد كثيرة وخطيرة، ولابد من تعاون الصحافة والإعلام الممثَّل فى الإذاعة والتليفزيون فى إثارتها وإلقاء الضوء عليها ، وكيفية حلها ، وعلى المسئولين الشعبيين والحكوميين دراسة هذه المشاكل بجدية وعناية ، وإلغاء أو إغلاق أى مصنع ينتج أى سلعة تسبب أمراضًا للناس ، ولا ينفع فى حل مثل هذه المشكلات كلمة «معلهش صاحب المصنع غلبان ، فاتح بيوت كثيرة ، والأمراض لن تصيب كل الناس . . و . . » ، فمثل هذه الكلمات لا تحل المشكلة وإنما تزيدها

فصاحب أى مصنع يمكن أن ينتج سلعًا كثيرة تفيد المجتمع ولا تضر بأفراده ، ويمكن له أن يغير كل إنتاجه بمنتهى البساطة ، أمّا مصلحة المواطن البرىء دافع الضرائب وصحته فهى أهم بالنسبة لنا ككُتّاب ، وأعتقد أنها مهمة أيضًا بالنسبة للحكومة .

إن رسالة الصحافة والإعلام والأدب هى محاولة إسعاد المجتمع وحل مشاكله ، والدفاع عن كل مواطن ، مهما بلغت بساطته ، فكلنا سواء أمام القانون ، ولا فرق بين وزير وخفير ! وهنا أذكر كلمات الكاتب الراحل سلامة موسى : « الكاتب الذى لا يغوص فى قاع المجتمع لمعرفة مشاكله ومحاولة حلها لا يساوى ثمن القلم الذى يكتب به » . وإذا كانت هذه هى رسالة الصحافة والإعلام، فإن على المسئولين أن يدرسوا كل المشاكل التى تثيرها الصحافة ، والقضايا التى يفجرها الكُتّاب لوضع حل لها ، فهذه هى مسئوليتهم أمام الله والمجتمع ، وكما نقول فى الأمثال : يد واحدة لا تصفق، فإذا اهتم الكُتّاب بإثارة المشاكل ولم يهتم المسئولون بدراستها فلن نصل إلى نتيجة ، أما إذا اهتم الجانبان ـ الصحافة والحكومة ـ فإننا نكون أشبه بفرقة موسيقية تعزف لحنًا رائعًا ، وتنشد أنشودة سعادة المجتمع وتقدمه ورفاهيته .

ليس بالجامعة وحدها
يتعلم الإنسان

الإنسان بطبعه يحب المعرفة ، يبحث عن أصل كل شيء ، يتساءل دائمًا طوال حياته ، فليس للمعرفة سن أو نهاية ، ومن هنا نقول فى أمثالنا الشعبية : يموت المعلم ولا يتعلم ، وليس للمعرفة مكان أو زمان ، والحديث الشريف يقول ما معناه : « اطلبوا العلم ولو فى الصين ، اطلبوه من المهد إلى اللحد » ، عرف الإنسان أهمية المعرفة والتعلم منذ البداية ، وكان كلما ازدادت معرفته بالأشياء وبعالمه الذى يعيش فيه كلما ارتقى من مرحلة إلى أخرى ، حتى وصلنا إلى مشارف القرن الحادى والعشرين ، والعالم الآن يتسابق من أجل المعرفة والعلم ، لذلك نسمى عصرنا الذى نعيش فيه عصر المعلومات، والفرق بين الدول اليوم هو الفرق بين من يملك المعلومات ومن لا يملكها ، وكلما امتلكت الدولة معلومات كثيرة فى شتى المجالات ، كلما تفوقت وسادت ، فهناك فرق بين من يعرف ومن لا

يعرف ، والدول الكبرى المتفوقة تحاول أن تستأثر بالمعلومات ، وتحتفظ بسريتها لأن المعرفة سيادة ، بل إن هناك صراعًا بين الدول الكبرى حول العلماء، ويحاول البعض سرقتهم من بلد إلى أخرى وإتاحة الفرصة لهم ؛ ليبدعوا ويفكروا ويحققوا مزيدًا من النجاحات .

الثانوية العامة أصبحت بعبعاً

المدرسة هى بداية طريق التعلم، ويتدرج التلميذ فى مراحلها المختلفة حتى يبدأ مرحلة الجامعة ، وفى كل جامعات العالم لا تتاح فرصة الدراسة الجامعية إلا للصفوة ، والموهوبين الذين يمكن لهم أن يستفيدوا ويبدعوا ، وليس من المهم أن تتخرج من الجامعة لكى تكون شخصًا متفوقًا أو ناجحًا فى حياتك ، أو تتبوء أى منصب ، بل إنك يمكن أن تصل إلى ذلك بمجرد دراستك الثانوية ، هذا ما يحدث فى العالم كله ، أما عندنا فى مصر فإنك إن لم تتخرج من الجامعة فأنت غير متفوق ، وأنت غير طموح ، وأنت لا تصلح زوجًا عظيمًا ، ولا موظفًا كبيرًا ، وكلها خرافات وموروثات متهالكة من أيام جدتى الغولة ، وقد أصبحت عقدة الجامعة مرضًا عند كل الشباب ، ومن لم يستطع الالتحاق بالجامعة ، يحاول الالتحاق بالمعاهد العليا حتى يحصل على اللقب المنجد ـ مهندس ، دكتور ، كيميائى ، محاسب ـ المهم أى لقب يدل على تشرفه بالتخرج من الجامعة أو ما

يعادلها ، وللأسف فإن معظم خريجى الجامعة هذه الأيام - باعتراف أساتذتهم - غير مثقفين، وأنصاف متعلمين بسبب التكدس فى مدرجات الجامعة بالآلاف ، مما يستحيل معه التحصيل والتفوق .

كل هذه الأفكار الرجعية جعلت من شهادة الثانوية العامة بعبعًا وشيئًا مخيفًا للطلبة ، ونستطيع أن نضيف لأمراضنا النفسية فى مصر مرضًا جديدًا قاسيًا يكاد يفتك بالشباب هو مرض الثانوية العامة .

ولو كانت الدولة قد شجعت التعليم الفنى والمهنى وجعلت الشهادة الثانوية العامة نهاية مرحلة يمكن للطالب بعدها أن يجد عملاً شريفًا محترمًا يدر على صاحبه دخلاً يكفيه للعيش الكريم ، ما كنا نجد هذا الصراع على الالتحاق بالجامعة ؛ بحثًا عن اللقب ومجرد التميز فى مجتمع مصاب بعقدة التخرج من الجامعة .

عباقرة لم يلتحقوا بالجامعة

الواقع أنه ليس بالجامعة وحدها يتعلم الإنسان ، وإنما المدرسة والجامعة لا تعطى الإنسان أكثر من مفاتيح المعرفة وطرق البحث عنها، أما المعرفة الحقيقية فهى فى الكتب وفى الحياة بعامة ، وأتذكر قول عالم الآثار الراحل كمال الملاخ : « فى ربيع العمر نتعلم فى كل لحظة ، من كل نظرة ، من كل كلمة مطبوعة نقرؤها ، وكل همسة

نغم أو حوار ، حتى كل ضحكة وابتسامة ، كل حركة ، حتى من النحل والنمل نتعلم . . » !

هناك أمثلة كثيرة على التفوق والنجاح والعبقرية دون الالتحاق بالجامعة ، أو حتى الحصول على شهادة الثانوية العامة ، ولعل أبرز مثل على ذلك عملاق الفكر العربى أستاذنا « عباس محمود العقاد » الذى تفوق ككاتب وشاعر وأديب وباحث من الطراز الأول دون أن يدرس فى الجامعة ، بل دون أن يحصل على الثانوية العامة أو شهادة البكالوريا على أيامه ، ومع ذلك صار العقاد نجمًا فى سماء الأدب والفكر بفضل عشقه للقراءة وحبه للمعرفة ، وأهدى المكتبة العربية ٨٥ كتابا فى شتى ألوان المعرفة .

فى مصر أيضًا الكاتب المستنير ، أو كاتب الشباب سلامة موسى الذى تتلمذ على يديه ومن خلال كتبه [٤٨ كتابًا] كل قادة الفكر المصرى فيما بعد ، ولم يلتحق بالجامعة، بل اقتصر على الشهادة الثانوية .

« توماس أديسون» المخترع الأمريكى المعروف ، عندما ذهب فى طفولته إلى المدرسة اتهموه بالتخلف والغباء ، فتفرغت أمه لتعليمه فى البيت حتى تفوق وقدم للبشرية حوالى ألف اختراع، منها المصباح الكهربائى وأجهزة التسجيل الصوتى وغير ذلك . . أما الفيلسوف

الفرنسى المعروف « جان جاك روسو» فقد عاش فقيراً شريداً ولم يستطع الالتحاق بالجامعة ، أو المدارس المعروفة ، لكنه هوى القراءة منذ نعومة أظفاره ، وكان الكتاب صديقه المخلص طوال حياته ، ومن الكتب وتجارب الحياة تعلم الكثير ، واستطاع أن يثقل شخصيته ، ويصبح أحد الأدباء والمفكرين الفرنسيين والعالميين المشهورين ، وقدم أعماله المفيدة للإنسانية ، فكتب رسائله (فى أثر العلوم والفنون فى تهذيب الأخلاق أو إفسادها) ، و(بين الإنسان وأخيه الإنسان) ، و(فى الاقتصاد السياسى) ، أما درته الثمينة فهو كتابه المهم (العقد الاجتماعى)، وقد أثرت كتبه فى الشعب الفرنسى حتى قال عنه نابليون : « لو لم يكن روسو ما حدثت الثورة الفرنسية » .

من الأمثلة الطريفة فى هذا المجال أيضًا السيد « جارفن » الإنجليزى الذى رأس تحرير الموسوعة البريطانية الشهيرة التى تبلغ صفحاتها أكثر من ثلاثين ألف صفحة، وتتناول شتى العلوم والفنون والآداب ، هذا الرجل لم يدرس فى الجامعة ، بل لم ينل من التربية المدرسية العادية ما ناله غيره .

الأخوان « رايت» مخترعا الطائرة تخرجا فى المدارس الثانوية وحسب . . ولماذا نذهب بعيداً ولدينا فى التراث العربى نماذج كثيرة لعل أهمها الأديب والفيلسوف والعالم « عمرو بن بحر بن محبوب »

المعروف بلقب الجاحظ ، الذى عاش أكثر من تسعين عامًا فى القرن الثامن والتاسع الميلادى [٧٧٥ـ٨٦٨] ، وكتب أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابًا فى العلوم والآداب والفلسفة والجغرافيا والاجتماع ، الجاحظ هذا كانت مدرسته الرئيسية الكتب والحياة بعامة .

النماذج كثيرة وتحتاج إلى كتاب لسردها وشرحها ، لكنها تدل على أنه فعلاً ليس بالجامعة وحدها يتعلم الإنسان ، فالمعرفة كالشمس وضوء النهار متاحة لكل إنسان ، المهم أن تحاول اقتناءها ، وتسارع من أجلها ، وستجد نفسك سعيدًا فخوراً بثقافتك وبنفسك حتى لو لم تتخرج فى الجامعة .

ليس بالشرطة وحدها
يتحقق الانضباط

الانضباط الحقيقى

صيحة الانضباط ترتفع هذه الأيام ، فهى مطلب شعبى بعد أن اجتاحت الفوضى ، والإزعاج، والاتكالية ، وعدم تنفيذ وتطبيق القوانين ، والاستهتار بها ، والاستخفاف بكل شىء فى حياتنا، فجعلتها جحيمًا وحرمتنا من الهدوء والصحة والجمال ، وأقول الجمال لأنه ضرورة للإنسان وليس رفاهية . . والانضباط ليس هو فقط حل مشكلة المرور ، بل إن احترام وسيولة وانضباط المرور هو جزء من الانضباط العام الذى يجب أن يسود المجتمع ، أما الانضباط الحقيقى فهو فى الإنسان المصرى بعامة، وما يجب أن يتحلى به من سلوك يومى يجعله إنسانًا راقيًا متحضرًا ، فلا ينزع الزهرة أو الوردة من حديقة الشارع، بل يحافظ عليها ويعلّم أطفاله ذلك ، ولا يرفع

صوته فى الطريق العام أو يستخدم آلة التنبيه فيزعج الآخرين ، ولا يدخن فى الأماكن العامة فيؤذى الآخرين ويسبب لهم الأمراض ، وألا يحترم إشارة المرور مما يؤدى إلى حوادث جسيمة ، ولا يرمى بمهملاته أو القمامة فى الشارع فيسيء إلى نظافته وجماله ، بل يضعها فى السلة أو الصندوق الخاص بذلك ، وأهم من ذلك أن يحترم كل إنسان الآخر ويقدِّر رأيه حتى لو اختلف معه ، فاحترام الرأى الآخر المعارض هو قمة التحضر والانضباط ، والانضباط لا يأتى فى يوم وليلة ، وليس مثل أصابع البيانو عندما نضغط عليها تقدم لنا أصواتًا جميلة ، بل الانضباط عملية تربوية تبدأ منذ نعومة أظفارنا ويساهم فيها المجتمع ككل بمؤسساته المختلفة - البيت والمدرسة والجامعة والنادى والمسجد والكنيسة والإعلام - وكل ما يتصل بالإنسان ، وأنت لا تستطيع أن تحوّل رجالاً ونساء فى خريف العمر إلى منضبطين مرّة واحدة ، وإنما تحاول معهم شيئًا فشيئًا ، وإنما الذى نستطيعه هو خلق جيل منضبط منذ البداية من أجل المستقبل .

مشكلة المرور تأتى على رأس قائمة الانضباط لأهميتها وأهمية أن يسود الشارع المصرى الهدوء واحترام الوقت والسلامة ، وهذه المشكلة تحدثنا عنها كثيراً ، وأذكر عندما كنت طالبًا فى المرحلة الثانوية كان هناك ما يسمى شهر المرور كل عام ، وخلال هذا الشهر يزور المدارس

بعض ضباط الشرطة لإلقاء دروس فى المرور وقوانينه ومشاكله ، وكنا نستوعب هذه المعلومات لأن الذى يقدمها لنا ضابط يرتدى البذلة الرسمية وعلى كتفيه تلمع النجوم الثلاثة ، وكان التلاميذ يتمنون أن يكونوا فى المستقبل مثل هذا الكابتن الضابط . . المهم أن شهر المرور هذا كان يتضمن إلقاء دروس فى المشكلة ، والتعريف بقواعد وقوانين المرور ، ثم خروج التلاميذ بعد ذلك إلى الشارع للمساهمة فى تنظيم المرور بأنفسهم، مما يجمع بين الدراسة والخبرة النظرية والعملية . ولكن هذا التقليد توقف للأسف . . فلماذا لا تتضمن المناهج الدراسية دروسًا فى المرور والنظافة والانضباط والإتيكيت ، وكيفية معاملة الآخرين ، وضرورة احترام الآخر، حتى يشب أطفالنا على قدر من الوعى والتحضر ، وبخاصة ونحن نسمى الوزارة وزارة التربية والتعليم ؟

مشكلة المرور فى مصر

مشكلة المرور فى مصر تتلخص فى أن كل من يقود سيارة كبيرة أو صغيرة ، أو حتى دراجة بخارية، يسير وفق قوانين خاصة به وحده ولا يعرف قوانين المرور ، وعندما تتحدث إليه ينظر إليك ببلاهة واستخفاف ، ومن عجب أن ترى أحدهم يسير عكس الطريق ذى الاتجاه الواحد، وفى منتهى الغرور والعنجهية وكأنه لم يفعل شيئًا ،

ويعرض الجميع للحوادث - بل للقتل - دون مبالاة ، ودون أن يوقفه أحد المسئولين ويحاسبه ، وثانيًا : يسير بسرعة فائقة مضيئًا أنواره المبهرة ومستخدمًا آلة التنبيه الموسيقية أو البوليسية حتى يفتح له الآخرون الطريق اعتقادًا منهم أنها سيارة شرطة، ويمرق دون أن يحاسبه أحد ! وثالثًا يكسر إشارة المرور ، بل قد يسىء إلى الشرطى لأنه متأكد أنه فى النهاية سيلغى العقوبة ويلغى الغرامة ! تصرفات كثيرة غير حضارية نشاهدها فى المرور - سواء فى شوارع العاصمة أو الأقاليم - تدل على أننا مازلنا نعيش فى عصر الهمجية والفوضى دون رادع ، وهنا أقول : إنه من المهم جدًا ألا نصرف رخصة قيادة إلا لمن يستحقها فعلاً ، وبعد اختبارات حقيقية، وليست وهمية؛ حتى نحافظ على حياة الناس وحياة الشخص نفسه صاحب الترخيص، ومن الضرورى أيضًا أن ينفذ القانون ويطبق على الجميع دون استثناء ، ولماذا لا تكون الغرامة فورية فى بعض الأخطاء الفجة حتى لا تسوف العملية ويضيع حق الدولة ، ويتلقى المخطئ درسًا ربما لن ينساه ؟

ومن الأسباب الرئيسية للمشكلة المرورية وجود العربات الكارو التى تجرها الحمير التعبانة الهزيلة فى أفخم وأشهر شوارع العاصمة

والمحافظات ، ألم يحن الوقت لإلغاء هذه العربات واستبدالها بالتريسكلات أو السيارات الصغيرة حتى نتيح سيولة المرور ونحل مشكلة الزحام ؟

المطبات الصناعية ضرورة فى الشوارع المزدحمة والتى بها مدارس أو مستشفيات أو مساكن ، ولكن عمل هذه المطبات له شروط، أهمها أن يطلى المطب باللون الأبيض أو أى لون فاتح حتى يراه قائدو السيارات ، ويخفضوا السرعة حفاظًا على سياراتهم ، ولكن الذى يحدث الآن هو أن هذه المطبات كأنها شراك لا يراها أحد فيجرى فوقها وتتعرض السيارات للتلف والخسارة مع أن السيارات هى صلب اقتصاد البلد ككل .

مشكلة المرور هى جزء من مشكلة الانضباط بعامة، بمعنى أن حل مشكلة المرور ليس حلاً لمشكلة الانضباط، وإنما هى حل لجزء من المشكلة ، فمثلاً مشكلة القمامة ليس لها اتصال بالمرور، ولكنها مشكلة سلوك وانضباط أفراد المجتمع ، فالإنسان المتحضر المنضبط لا يسمح للآخر أن يسىء إلى الشارع فيلقى بقشرة موز أو برتقالة فيه، بل ينهره ويحمل هذه القشرة ليضعها فى الصندوق الخاص بها ، والإنسان المنضبط هو النظيف فى ملابسه وتصرفاته وفى ألفاظه وطريقة معاملته للآخرين ، ويتعلم ذلك أولاً فى بيته بين أفراد

أسرته، ثم يستكمل ذلك التعليم والسلوك السوى فى المدرسة والجامعة ودور العبادة والنادى والإعلام الذى يلعب دوراً خطيراً فى هذا المجال ، وكاتب هذه السطور يعبر عن دهشته الحقيقية من تكوين لجنة من رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء والمحافظين لدراسة مشكلة القمامة ، وكأنها مشكلة الشرق الأوسط !

النظافة أيها السادة عادة يكتسبها الإنسان منذ صغره ، والإنسان النظيف لن يلقى بالقمامة أو حتى قشرة الفاكهة فى الشارع، ولن يسمح لغيره بذلك .. فالانضباط بشتى صوره وأشكاله سلوك حضارى يتعوده الإنسان منذ نعومة أظفاره فى شتى مؤسسات المجتمع، وتأتى الشرطة فى النهاية لتحاسب الخارج على القانون أو عادات المجتمع ، فليس بالشرطة وحدها يتحقق الانضباط ، بل بكل مؤسسات المجتمع ومنذ البداية .

الانضباط والاعتباط

السبب فى ضعف إنتاج العامل والموظف والطالب

منذ عشرات السنين ونحن نقيم أسابيعَ وأيامًا للمرور والانضباط ، فتُلْقَى المحاضرات ، وتقدم البرامج الإذاعية والتليفزيونية ، وتكتب الصحافة عن ضرورة الانضباط ، واحترام إشارة المرور ، والمحافظة على الشارع المصرى هادئًا نظيفًا ، ومع ذلك ـ وللأسف ـ لا يتحقق الانضباط ، ويظل الشارع المصرى يصرخ ويتوجع من التلوث السمعى وارتفاع أصوات الناس والسيارات والحمير والخيل التى تجر العربات ، بالإضافة إلى كسر إشارات المرور وعدم احترامها ، وانتشار الدخان والرصاص والتراب فى الهواء ، فإذا أضفت إلى كل ذلك الزحام الشديد الذى يسبح الناس والعربات فيه ، عرفت المحنة والمصيبة التى يعانى منها الشارع المصرى ، وعرفت السبب فى ضعف إنتاج العامل والموظف والطالب بعد وصوله إلى عمله متحملاً رحلة العذاب من بيته إلى مكان عمله .

الانضباط يبدأ من الطفولة

والانضباط لا يأتى فى يوم وليلة ، وهو سلوك حضارى لا يمكن تحقيقه فى التو واللحظة ، وإنما يتحقق تدريجيًا بالتدريب والمران والتعود ، وهو يتحقق على أعلى مستوى إذا بدأناه مع أطفالنا فى البيت ودور الحضانة والمدرسة والجامعة ، حتى يصبح سلوكًا يوميًا معتادًا. والمشكلة الحقيقية مع الكبار هى كيف نعلمهم الانضباط حتى يعلموه لأطفالهم ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه .

شرطى أو ضابط المرور لا يستطيع تعليم الناس الانضباط وحده ، لأن هناك بعضًا من أفراد شرطة المرور لا يعرفون الانضباط ، ولا ذنب لهم فى ذلك ، فقد جاءوا من الريف أبرياء أنقياء لم يعيشوا فى المدن ولم يعرفوا مشاكلها ، ثم ليس بالغرامة والدفتر والقلم يتعلم الناس الانضباط ، فهذا عنصر من العناصر وليس العناصر كلها .

الانضباط الحقيقى كما قلنا يتحقق مع الطفولة ، ومع تهيئة المجتمع ككل ليعزف لحن الانضباط ، يستطيع المسجد والكنيسة تعليم الانضباط ، وتلعب أجهزة الإعلام دورًا رائدًا فى هذا المجال .

التعليم بطبيعته له دور فعال ، إن اسم وزارة التربية والتعليم فى حد ذاته يعبر عن ذلك ، ونلاحظ أن التربية قبل التعليم ، والتربية ما

هى إلا الانضباط ، أما الجمعيات والنوادى فلها نصيبها المهم أيضًا فى هذا المجال .

ما هو الانضباط المطلوب ؟

والانضباط ليس مجرد احترام إشارات المرور وعدم استخدام آلات التنبيه والمحافظة على نظافة الشوارع ، وإنما الانضباط هو تكوين الشخصية السوية والمواطن الصالح الذى يعرف حقوقه وواجباته . وفى حديث مع الدكتور « نيقولاوس فان دام » سفير هولندا السابق فى مصر قال لى : إن شعب هولندا يعمل وينتج ويصدر للخارج أكثر من شعوب كثيرة أخرى ، مع أن تعداده لا يزيد عن ١٥ مليون نسمة ، أما سبب ذلك فهو روح الانضباط التى يتحلى بها . . وسألته ماذا تقصد بروح الانضباط ؟ أجاب الرجل الذى يتحدث اللغة العربية بطلاقة : « أن يحب الإنسان عمله ، ولا يؤديه كعملية روتينية وواجب ثقيل على قلبه ، بل يؤديه باحترام كامل وفن وإتقان حتى يخرج فى صورة لائقة رائعة ، وإذا كان الكم مهمًا فالكيف أهم ، وعلى المواطن أن يشعر أن عمله هو هوايته ، بيته الثانى ، مكان مقدس له هيبته . . » .

هناك فرق بين الانضباط والاعتباط بالطبع ، فإذا كنا نطلب من

المواطنين احترام إشارة المرور ، فيجب أن تكون هذه الإشارة سليمة ، والاعتباط أن ترى إشارة المرور وقد أضيئت باللونين الأحمر والأخضر فى وقت واحد ، فماذا أنت فاعل ؟ هل هى فزورة من فوازير مصر أم ماذا ؟

والانضباط يفترض سيادة القانون ، ويحتاج إلى القدوة الحسنة ، فإشارة المرور الحمراء يجب أن يحترمها الجميع وينتظر ، أما عندما يقف الجميع أمامها ، ثم تأتى سيارة جيش أو شرطة ولا تعبأ بها ، بل تقتحمها كما تقتحم جيوش الأعداء ، فهذا هو الاعتباط ! الانضباط يفترض سيادة المواطن واحترام وقته ، وعندما يذهب المواطن إلى أى وزارة أو مكتب لتحقيق مصالحه ويفاجأ بأن الموظفين يستهينون به ويلعبون به الكرة بينهم ، ويضيعون وقته دون أى اهتمام أو احترام ، ثم بعد انتهاء اليوم يقولون له : فوت علينا بكره . . فهذا هو الاعتباط الحقيقى .

الثواب والعقاب أساس الانضباط

الانضباط أن يشعر كل مواطن ـ مهما بلغت بساطته ـ أنه مواطن من الدرجة الأولى ، له كل الحقوق وعليه كل الواجبات ، أما الاعتباط فهو أن يشعر المواطن ـ ابن البلد ـ الذى يدفع الضرائب ،

ويقدم للدولة كل حياته ، أنه غريب فى وطنه ، ليس له حول ولا قوة . . وإذا كان الانضباط سلوكًا يحسن ويفضل تعليمه للصغار ، فماذا نفعل بالكبار غير المنضبطين ؟ أعتقد أن تطبيق نظام الثواب والعقاب خير وسيلة لذلك ، فلنعلن مثلاً عن غرامة مالية ، ولتكن عشرين جنيهًا على من يرمى بالقمامة فى الشارع ، أو على من يكسر إشارة المرور ، أو على من يستخدم آلات التنبيه استخدامًا سيئًا فيزعج الشارع ويوقظ النائمين ويوجع المرضى ، ثم نطبق وننفذ هذه الغرامة فى الحال دون محاباة أو ضعف أو احترام لكلمة «معلهش» ، فنحن نحتاج لشىء من الصرامة والحزم ، وعندما يشعر المواطنون أن الحكومة جادة فى تنفيذها للعقوبة الفورية ، سيفكر كل مواطن مرة ومرتين عندما يخرج عن حالة الانضباط ، وتدريجيًا سيتعود الجميع على هذا السلوك الحضارى ، ثم لماذا لا نعد جائزة سنوية كبيرة للمواطن الأول فى الانضباط ، سواء على مستوى الأحياء أو المدن أو المحافظات ، ثم الجمهورية ، فإن الثواب أيضًا مطلوب لتحقيق الانضباط؟

مرة ثانية الانضباط ضرورة لمجتمعنا ، وهو يحقق مصلحة الجميع ، أما الاعتباط والفهلوة فلسنا فى حاجة إليهما .

أطفال البانشى

تيتشى بوجى يحتل الشوارع فى الصيف

ظاهرة جديدة على شواطئنا ـ وبخاصة شواطئ الساحل الشمالى فى «العجمى» و«مراقيا» وحتى مطروح ـ هى استخدام الأطفال للعجلات البخارية الضخمة المسماة بـ « تيتشى بوجى»، وهى موتوسيكلات ضخمة مختلفة الأنواع ، المفروض أنها لا تسير إلا على الشاطئ الرملى ، والغريب فى هذه الظاهرة الواضحة التى تملأ الشواطئ ، بل والشوارع فى الصيف ؛ أن الذين يقودونها معظمهم من الأطفال ، وأولاد وبنات ، تتراوح أعمارهم من ١٠ إلى ١٥ سنة، وهم إما يملكونها أو يؤجرونها . من هذه الموتوسكيلات نوع يسمى « بانشى»، وقد أتيح لى أن أشاهد استعراض الأطفال على الشاطئ بهذا البانشى الضخم المزعج الصوت المخيف المنظر . . جاء الأطفال على الشاطئ به، وبدأ الأول يستعرض إمكاناته فيسير على العجل الخلفى رافعًا مقدمته لأعلى ، والأصدقاء الذين يركبون فى

الخلف يصيحون خوفًا من أن ينقلب بهم ، وآخر يستعرض السرعة فيسير على الشاطئ بين المصطافين بسرعة جنونية تهدد حياتهم ، وبخاصة الأطفال الأبرياء الذين يلهون فى براءة على الشاطئ ، ولا أحد يمنعهم من هذا الهول الذى يمارسونه صباحًا ومساءً ، أما هذا «البانشى» فثمنه يتراوح بين ٢٨ إلى ٣٦ ألف جنيه ، ويتكلف بنزينًا فى اليوم بحوالى عشرين جنيهًا ، والأطفال الذين يستخدمونه إما يؤجرونه بستين جنيهًا فى الساعة ، أو يملكونه، فهناك آباء يشترون لأبنائهم هذا البانشى ، بل هناك من يشترى لكل واحد من أبنائه بانشى خاص ، فترى ثلاثة أطفال إخوة يملك كل واحد منهم واحداً.

«ولاد الناس» هم الأغلبية

ونحن لا يهمنا أن يدلل الآباء أبناءهم بهذه الطريقة ، فكل أب حر فى أن يشترى لأبنائه ما يريد ، حتى لو اشترى لكل منهم طائرة، لكن ما يهمنا فعلاً هو مصلحة الناس وحياة المصطافين وأمنهم ، فليس من المعقول أن نترك الأطفال يلهون بهذه العجلات البخارية الضخمة معرضة أمن الجميع للخطر ونقف لنتفرج ، وليس من العدل أن ندلل بعض الأطفال « ولاد الناس » على حساب الأطفال والكبار الأغلبية .

العجيب حقًا أن يقود هذا البانشى طفل غير مسئول عما يفعل حتى إذا قتل أى عدد من المواطنين ، من غير عمد بالطبع ، فهو طفل والقانون يحميه ، ولكن نريد من القانون نفسه أن يحمى الأغلبية الغلابى الذين جاءوا للراحة والاستجمام والهرب من مشاكل الحياة . هنا أذكر ما قاله لى طفل ممن يقودون هذا البانشى ، كان الوقت عصرًا على شاطئ العجمى ، وجاء طفل مسرعًا يلهو ببنشه ، ولم يلحظ الطفل البرىء أن أحد المصطافين يرقد على الشاطئ وقد غطى جسمه بالرمل ، فيما يسمى بحمام رمل ، فمشى عليه ودهمه تمامًا ! !

هذا حدث فعلاً ، غير ما يحدث يوميًا من حوادث يذهب ضحيتها عدد من الأطفال والنساء والرجال ، وكما هو معروف فإن الإسعاف الموجود فى هذه المناطق ، إسعاف بدائى ، ومن ثم فإن البعد عن المدينة ممكن أن يعرض ضحايا البانشى للخطر والموت الذؤام! . . ويزيد الطين بلة أن أطفال البانشى لا يكتفون بالجرى به نهارًا على الشاطئ ، بل ينتظرون غروب الشمس لاستكمال مغامراتهم ونشاطهم فى شوارع المصايف الرئيسية على الأسفلت ، وهو ممنوع بالطبع ، مما يعرض المارة والمصطافين للخطر حتى فى الشوارع ليلاً ، وبهذا يصبح أطفال البانشى خطرًا حقيقيًا يهدد الناس

فى المصايف ليل نهار ، وكأنهم يمشون وراءهم بالمرصاد لترويعهم ، ودفع الخوف إلى قلوبهم، والتنكيد عليهم ، والناس تذهب عادة إلى المصيف للراحة والاستجمام واستنشاق هواء نقى خالى من التلوث والدخان ، وإذا بأطفال البانشى يقلقوهم وينقلون الدخان إلى الشاطئ نفسه ، ويصيح المصطافون قائلين : (كأنك يا بدر لا رحت ولا جيت) ، أما النساء فيقلن : (جاءت الحزينة تفرح مالقتش لها مطرح).

لماذا سيتعلم أطفال البانشى ؟

السؤال الذى يفرض نفسه هو : كيف نسمح لهؤلاء الأطفال أن يقودوا البانشى والعجلات البخارية وهم ما زالوا فى سن الطفولة ؟ أليس هذا البانشى مثل الموتوسيكل أو السيارة بموتور، ويجب على من يقوده أن يحمل رخصة قيادة، ويكون بالغ العمر القانونى ؟ وإذا كان هؤلاء - أطفال البانشى - قلة ، فلماذا نسمح للقلة أن تشيع الفوضى وتضرب بالقانون عرض الحائط ، وتهدد حياة أغلبية المصطافين ؟

ثم هذا السفه فى المصاريف من الأغنياء نحو أطفالهم وشراء هذه العجلات البخارية بآلاف الجنيهات ، بل ومصاريف تكاليف هذه العجلات اليومى بنحو عشرين جنيهًا حتى للذين يؤجرونه ، أليس

هذا تدليلاً زائدًا وخطيراً للأطفال يهدد مستقبلهم وحياتهم ، فالطفل الذى يجد كل شىء فى يديه وهو فى هذه السن الصغيرة الخطيرة لماذا سيتعلم بعد ذلك ؟ ولماذا يجاهد ويكافح فى الحياة ما دام يملك حتى الكماليات ؟ . . إنه سفه ما بعده سفه ! وهل دفع الآباء الذين يتمتع أطفالهم بهذه الكماليات المرفهة ضرائبهم كاملة للدولة ؟ وهل أطمع إذا طلبت من هؤلاء الآباء المساهمة فى بناء المدارس والمستشفيات ودور الحضانة ، ومساعدة اليتامى والأرامل والمعوقين أولاً . . ثم . . ثم شراء البانشى لأطفالهم وتدليلهم كما يشاءون ؟

الرقص مفتاح الفرج

فن الرقص وأنواعه

الرقص جميل كالحب ، أليس الحب خفقات قلب ، ورعشة جسد، وميل المحب إلى الحبيب ؟

الناس جميعًا ترقص وتلهو منذ وُجد الإنسان فى هذا العالم ، ولكل شعب رقصاته المميزة المعبرة عَن حياته وعاداته وتقاليده وفلسفته، وقد عرف أجدادنا الفراعنة الرقص الإيقاعى ونقشوه على الجدران والمعابد ، والرقص ليس عيبًا بالطبع ، بل هو فرصة لتنفيس الإنسان عن طاقته الجسدية والنفسية ، والشعوب التى تعرف الرقص والمرح و(الفرفشة) هى الشعوب التى تعمل وتجتهد وتعرق من أجل حياة سعيدة سوية جميلة.

وللرقص مدارس ومذاهب ، هناك الرقص الجماعى ، وهناك فن الباليه الراقى ، وهناك الرقص الثنائى الهادئ، كذلك هناك الرقص الفردى ، مثل الرقص البلدى عندنا ، أو ما يسمونه « هز البطن »،

وبالإنجليزية « بيلى دانس»، وقد اشتهر هذا الأخير فى مصر وعن مصر ، وهو يعجب الأجانب جداً ، وكذلك المصريين ، ولا تجد فرصة لحفل زواج أو نجاح أو عيد ميلاد ، أو غير ذلك إلا ويكون الرقص هو القاسم المشترك ، وأهم من الطعام والشراب . . من هنا ارتفع سعر الراقصات ، وأصبحن من نجوم المجتمع ، وأطلقن على أنفسهم ألقابًا كثيرة متباينة أقدمها « زوبة الكلوباتية» ، و« الراقصة الأولى »، و«راقصة التليفزيون والسينما»، و«الراقصة اللولبية » . . وأخيراً شدنى لقب محير غريب هو « الراقصة الجامعية » ؛ ذلك لأن هناك راقصة تعكف فى أوقات فراغها على إعداد دراسة لدرجة الدكتوراه فى الأدب ، وهكذا امتزج الرقص بالأدب واقتحم الجامعات . وفى أحد برامج التليفزيون الشهيرة ، قالت راقصة معروفة عن زوج ابنتها : إن له الشرف العظيم فى أن يتزوج ابنتى ! !

الرقص ليس عيبًا .. ولكن

والرقص ليس عيبًا بالطبع ، ولكن العيب أن تصبح الراقصات نجمات المجتمع وسُراته ، فى نفس الوقت الذى يعانى فيه العلماء والمجتهدون والموظفون من شظف العيش !

وكاتب هذه السطور يحب الرقص ومشاهدته ، وقضاء أوقات سعيدة مع اللهو والمرح والرقص البلدى ، لكنه يحب أن يلهو وقت

اللهو ، وأن يجد ويعمل ويعرق وقت الجد ، ويؤمن بأن لكل وقت ظروفه ومناخه وضرورته . والحياة تحتاج منا إلى هذا وذاك، وألا نرتمى فى أحضان اللهو ولا نعمل ، ونصبح مثل تنابلة السلطان ، فالشعوب المتحضرة العظيمة هى التى تعمل وتكد وتكافح ، وتلهو وتتمتع بحياتها أيضًا ، وكما نقول فى أمثالنا الشعبية « كل وقت وله أذان» . . ومساحة وقت العمل والجد والكفاح يجب أن تكون أكبر وأوسع حتى نحقق أمنًا اقتصاديًا لشعبنا .

الرقص الضرورى

كان كاتبنا الكبير سلامة موسى يطالب بتعليم الشباب الرقص الجماعى والثنائى - لا الرقص البلدى - وذلك لأنه علاج لمركب النقص عند الشباب الناشئ من رذائل التربية الانفصالية بين الجنسين، فالشاب الخجول المرتبك عندما يتمرن على الرقص ، يجد أنه قد حقق فى نفسه تغييرًا نفسيًا ، وأنه يشعر بكرامة جنسية ورشاقة ، واحترام للجنس الآخر ، والبعد عن الشذوذ ، لأن الرجل الذى يرقص مع امرأة يتجه الاتجاه الصحيح بلا انحراف ، وكل هذا يعين شبابنا على النجاح فى الحياة .

أما الرقص البلدى ، أو « هز البطن » ، فلم يعجب كُتّابنا الكبار، ومنهم سلامة موسى نفسه ، وكذلك بطل تحرير المرأة ، قاسم أمين ،

الذى اعتبره إثارة جنسية أكثر منه رشاقة جسمية ، وأنه يتناسب مع عصر الحريم ، ومع ذلك شجع الكُتّاب جميعًا الرقص الإيقاعى ، وفرق الرقص الشعبى ، والرقص الثنائى بين الرجل والمرأة ، واعتبروه تحضرًا مفيدًا للأسوياء من الناس .

ونحن لا نريد الإساءة للرقص البلدى ، أو منعه ، فقد أصبح ظاهرة مهمة فى المجتمع المصرى ، كما أصبحت المجتمعات الأخرى تحاول تقليده مثل تركيا والدول العربية ، بل والدول الأوربية ، على أساس أنه نوع طريف محبب من أنواع الرقص .

تغلل الرقص فى حياتنا بشكل ملحوظ ، وأصبح ظاهرة عامة فى الأفراح والليالى الملاح ، ولم يقتصر الرقص فى هذه الحفلات الكبيرة على الراقصة التى تقبض آلاف الجنيهات من أجل عملها ، بل رأينا الراقصة تمسك بيد العريس والعروس فى حفلات الزفاف ، وترقصهم بلدى ! !

كما رأينا الأطفال يدخلون الحلبة ، (وهات يا رقص وهز بطن ، وهز وسط ، وهز كل حاجة)، والأمهات أصبحن مهتمات بتعليم بناتهن الرقص البلدى منذ طفولتهن ، وهكذا تربع الرقص البلدى ، أو هز البطن، على عرش كل الحفلات والمناسبات ، وأصبح الرقص مفتاح كل شىء فى حياة المصريين ، مفتاح المال والغنى والشهرة

وقضاء أوقات سعيدة ، ومفتاح الأفراح والسهرات ، والحمد ‹ أن وجدنا سلعة مصرية تحتاجها السوق العربية والأوروبية والأمريكية وغيرها ، وأصبحنا نصدر الراقصات هنا وهناك .

التليفزيون العربى الشامخ ، صندوق الدنيا ، الذى أصبح فى كل حجرة ، وفى كل بيت ، وفى الشارع ، وفى المحلات والمتاجر ، بل وللأسف ـ فى بعض مكاتب الموظفين ، التليفزيون العظيم رصد ظاهرة حب الناس للرقص ، وأشبعنا رقصًا ، وهناك فى الأوقات المميزة فقرة إعلانية، أصبحت فقرة راقصة ، ويجب أن تقدم هكذا «فقرة راقصة »، وأصبح كل شىء فى الإعلانات راقصًا : الدواء ، وفيتامين س ، والمضادات الحيوية ، والخضر والفاكهة ، و«البزازات»، والقمصان والأمشاط والفلايات ، وملابس الأطفال والكبار، وحتى الصابون والحساء ، وعدة الحلاقة، والسيارات ، وزجاجات المياه الغازية . . (كل شىء أصبح على واحدة ونص فى التليفزيون) ، وأصبح الأطفال والكبار يفضلون الإعلانات الراقصة ، هذا غير الفتيات الجميلات البيضاوات والسمراوات ، المصريات والخواجات ، كلهن يرقصن ، ويغمزن بعيونهن الملونة ، ويحركن أصابعهن الرقيقة، وأياديهن الناعمة حتى يقتنع الزبون المشاهد بالإعلان ،

فالرقص مفتاح الإعلانات، والإعلانات هى مفتاح الفرج لخزينة التليفزيون ، وبالتالى أصبح الرقص مفتاح الفرج .

السؤال الذى يفرض نفسه : إلى متى هذه الهيصة والزمبليطة والرقص فى الإعلانات ؟ . . وهل يستحيل أن نقدم إعلانات جذابة وجميلة ومقنعة دون استخدام الرقص البلدى والهز المستمر ؟

مرة ثانية أنا لست ضد الرقص ، فالرقص ظاهرة جميلة فى حياتنا، ولكننى لا أعيش لأرقص، بل أرقص لأعيش ، وأعتبر الرقص كالضحك تمامًا ،وكما نقول فى المثل : الضحك من غير سبب . . . كذلك الرقص من غير سبب . . . ، ويا تليفزيون مصر العظيم الكبير الرائع : حاول أن تبحث عن ظواهر ووسائل أخرى جديدة لتنجح إعلاناتك ، فقد تعبت أجسامنا من الرقص والهز .

الأغنية الشبابية
والحركات الهستيرية

العالـم يغنـى

من منا لا يُغنى ؟ أو لا تُذكره بعض الأغنيات بفترة معينة من حياته ، طفولته أو شبابه ؟ كلنا نتغنّى بالأغنيات الحلوة التى أسعدتنا وتسعدنا كلما استمعنا إليها ، ولسنا فى مصر فقط نغنى ، بل العالم كله يغنى ، فالأغنية تعبير عن حياة الإنسان ، سعادته وتعاسته ، كدّه وكفاحه ، قيمه الأخلاقية والدينية ، حياته الاجتماعية وحبه وزواجه ، طفولته وفتوته وأحلامه وأمله فى الحياة ، ومن هنا يقول علماء الاجتماع : إنه من الممكن لو استمعت وعرفت وفهمت أغنيات شعب معين أن تعرف مدى تحضر هذا الشعب وتقدمه أو تخلفه ، فكلما هبط مستوى الأغنية عند الشعب كلما عبّر هذا عن تخلفه وتأخره ، والعكس صحيح .

تطور الأغنية المصرية

الأغنية المصرية تطورت تطوراً كبيراً ، وشهدت طفرة من التقدم على أيدى عباقرة النغم والطرب: سيد درويش، ومحمد عبد الوهاب، أم كلثوم ، بيرم التونسى ، أحمد رامى ، عبد الوهاب محمد ، مرسى جميل عزيز ، سيد مكاوى ، محمد الموجى ، كمال الطويل، الموسيقار فريد الأطرش ، فيروز ، أسمهان ، محمد عبد المطلب ، عبد الغنى السيد ، كارم محمود ، عبد العزيز محمود ، نجاة على ، عبد الحليم حافظ ، وقد قدّم عبد الحليم كل ألوان الأغنية، من عاطفية إلى وطنية إلى وصفية إلى دينية ، وأبدع فى أدائه لدرجة أن بعض المؤرخين يقولون: إن أغنيات عبد الحليم تؤرخ لثورة ٢٣ يوليو ولتاريخ مصر الحديث ، وهى بالفعل يمكن اعتبارها وثائقَ تاريخية وجزءاً هاماً من المراجع المختلفة .

انتشرت الأغنية المصرية فى البلاد العربية ، وأصبحت القاهرة عاصمة الغناء العربى ، وتطلّع كل مطرب عربى للغناء فى القاهرة حتى يضمن الشهرة والانتشار والتألق فى شتى المجالات ، وبخاصة فى الفن .

ظهور ما يسمى بالأغنية الشبابية

وتألقت الأغنية المصرية على أيدى سيد درويش، ثم محمد عبد

الوهاب ، أم كلثوم، فريد الأطرش ، عبد الحليم حافظ ، فيروز وغيرهم ، ومنذ السبعينات بدأ نجم الأغنية المصرية فى الأفول مع رحيل العمالقة واحدًا بعد الآخر ، حتى جاء الدور على محمد عبد الوهاب ، فأصبح المسرح الغنائى شاغرًا فعلاً إلا من عدد قليل من المطربين والمطربات الشباب الذين يمتلكون القدرة على الغناء والموهبة فى الأداء ، وسمعنا عن أصوات جديدة تقتحم مجال الأغنية ، بعضها لا يملك الموهبة ، بل يعتبر الغناء مجرد مهنة يتكسب منها ، فهذا ميكانيكى يترك عمله ليغنى ، وثانى (صايع) لم يجد عملاً له فاتجه للغناء ، وآخر أقنعه بعض الدجالين أن صوته يصلح للغناء فجرب حظه ، وارتفعت صيحة الأغنية الشبابية ، أو الهبابية كما يطلق عليها الفنان الناقد الموسيقى عبد الحميد توفيق زكى . . ولست أدرى لماذا يطلقون عليها الأغنية الشبابية ؟ ألم يغن عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش للشباب ؟ وألا تعتبر أغنياتهم الرائعة شبابية، بمعنى أنها للجميع وتحاكى مشاعر الشباب وكل الأعمار؟ . . وهل غنى هؤلاء للشيوخ والعواجيز والمحالين للمعاش أو المعوقين والمعتوهين . . أم ماذا بالضبط ؟

عندما تغنى عبد الحليم حافظ « قولولُه ، حبك نار ، خسارة ، نعم يا حبيبى نعم ، ضى القناديل ، بكره وبعده »، وعندما غنت أم

كلثوم « سيرة الحب ، الحب كده ، اسأل روحك ، عودت عينى على رؤياك ، حب إيه ، أنا لن أعود إليك ، الأطلال » ، وكذلك عندما غنى محمد عبد الوهاب « جفنه علم الغزل ، أحبه مهما أشوف منه ، يا مسافر وحدك ، خى خى ، بفكر فى اللى ناسينى» ، وعندما غنى فريد الأطرش « حبيبى ، تعالى سلم ، حبينا ، لحن الخلود » ، هل كانت هذه الأغنيات المختلفة لعواجيز الفرح والشيوخ والأرامل والمطلقات ، أم كانت ـ ومازالت ـ أغنيات شبابية يتغنى بها الجميع ؟

ثالوث الأغنية المقدس

الأغنية الناجحة تتكون من ثالوث مقدس : كلمة معبرة شاعرية ، ألحان مناسبة شجية ، أداء جيد بأصوات غنية ، وعندما لا يتفق الثالوث المقدس هذا ، أو تتعرض بعض أجزائه للهبوط أو التلفيق ، تخسر الأغنية ولا تنجح ، وتصبح كالأعرج فى السباق ، لهذا إذا استعرضنا أى أغنية ناجحة ودرسنا أجزاءها بالتفصيل سنجد كل عنصر فيها مهيئًا للنجاح والإبداع والتفوق . . كلمات بديعة ، ألحان شجية ، أصوات غنية جميلة . . حاول أن تطبق هذا على أغنيات العمالقة : أم كلثوم ، محمد عبد الوهاب ، فريد الأطرش ، عبد الحليم حافظ ، وغيرهم . . ستجد النتيجة واضحة . . ثم تعال بعد

ذلك نطبق هذا الثالوث المقدس لنجاح الأغنية على الأغنيات إياها التى يقال إنها شبابية ، ماذا ستجد ؟ كلمات هابطة ، أو كلمة أو اثنتين فقط ، والله يحب المحسنين ، لحن راقص مكرر على واحدة ونص ، أداء لولبى يعتمد على الصياح والزعيق ، فتصبح الأغنية مجرد (هيصة وزمبليطة وهز وسط ، أو تنطيط وقفز)، وكأنك فى السيرك بين حيواناته المختلفة .

وحتى لا أكون مبالغًا ، فإن هناك أغنيات وأصواتًا شبابية رائعة وجميلة وقوية ، لكنها ـ للأسف ـ ضاعت وسط مولد الأغنية الشبابية المزعومة . . ومن الطريف أننى كنت أستمع ، بالمصادفة ، إلى أغنية من هذا الصنف الردىء فلم أفهم شيئًا ، فالمطرب ، أو المؤدى ، أو المدعى استمر يقول ويردد (. . أنا هه . . وأنت أهه . .) عدة مرات، وكأنه يعلن عن بيع سلعة لا تجد سوقًا أو رواجًا، حتى ملت نفسى وتركت المكان، وتحسرت على الزمان الذى جاء بنا إلى هذه التفاهات ! وكله كوم وصاحبنا فيلسوف الأغنية الشعبية المعاصر كوم آخر ، إنه يتغنى بكلمات غير مفهومة ، عميقة فى سوقيتها ، وهو صاحب أغنية (حبة فوق وحبة تحت) ، أما الكلمات التى أخرجتنى عن وعى ، وجعلتنى أشبه بالمتوهين والهبل والمهووسين ، فهى كلمات تقول : « كوز المحبة اللى بنا اتخرم عَايز له بنطة لحام» . أهذه

كلمات أغنية يغنيها شعب مصر فى بداية القرن الحادى والعشرين ! !

ألا يوجد تأخر وهبوط وتخلف أكثر من ذلك ؟

الرقابة تمرر الغث مع الثمين

المصيبة الكبرى أن البعض من المثقفين والمتعلمين يؤيدون هذا النوع من الأغنيات ويعتبرونها نوعًا من التنفيس والتهريج المطلوب ، وهذه هى القضية : أننا نترك الغث مع الثمين ، ولا نحاول تنقية أغنياتنا من هذه الخزعبلات والكلمات الهابطة والأفكار السوقية . والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا المجال هو : هل أشرطة الكاسيت المليئة بهذا الشىء الردىء من الأغانى والتى تغرق وتحفل بها الأسواق، تمر وتخضع للرقابة أم لا ؟ وإذا كانت لا تمر على الرقابة فما هو السبب؟ وما عمل الرقابة على المصنفات إذن ؟

أغنية الفيديو كليب

الحديث عن الأغنية إياها يطول ولا ينتهى ، ونأتى إلى الفيديو كليب ، أو الفيديو كلاب ! وهو الأغنيات المصورة تليفزيونيًا ، الأغنية لا تساوى شيئًا ويصرف على تصويرها أشياء وأشياء ، والعبد ‹ صاحب هذه الكلمات يشاهد الأغنيات الفيديو كليب هذه على الشاشة الصغيرة فيصاب بدوار أحيانًا ، وبحول فى عينيه أحيانًا أخرى، وأتعجب من هؤلاء الذين يرقصون مع المطرب أو المطربة ،

فهم فى واد ، والمؤدى فى واد آخر ، أما المطرب أو المؤدى أو المغنى فقد ركبه عفريت أو جن ، أوّ قل إنه قد أصيب بالحمى أو الملاريا ، فأخذ يرتعش ويهتز ويقفز وينط ، وينطق كلمة وهو بالملابس الرسمية، والكلمة الأخرى بالمايوه ، وثالثة وهو فى سيارته، ورابعة وهو فى مركب على النيل ، وهكذا يشتت أفكارنا ويصيبنا حقيقة بالحول النفسى ، وأتذكر مطربينا العمالقة وكيف كنا نسمعهم فى هدوء ونتمتع بالأغنية ، بكل ما فيها من كلمات راقية وألحان متوافقة وأداء رائع بديع . وأنا لست ضد التقدم والتكنولوجيا ، ولكن ضد تمييع الأشياء، والهيصة دون داع ، ويمكن أن نستمع إلى أغنية تليفزيونية مصورة هادئة معبرة ، تخاطب الوجدان والروح ، وتنعش الفؤاد وتحرك العواطف ، وهذا هو دور الأغنية فى حياتنا ، أما إذا أردنا أن نرقص فلا مانع ، فالرقص مفيد وصحى ، والرقص مفتاح الفرج فى مصر بالذات ، لكن هناك فرق بين الأغنية الناجحة والرقص، فكل له موسيقاه وألحانه وهدفه .

وكثيراً ما أسمع الناس تعبر عن ضيقها بالأغنية الشبابية، وكذلك المسئولين والنقاد ، وهذه ظاهرة صحية ، المهم أن نعمل جميعًا على تخليص الأغنية من العفاريت التى ركبتها والهستيريا التى أصابتها لتعود لنا سليمة سالمة مؤثرة مفيدة ، نتغنى بها ونسعد بكل محتوياتها .

الحصيف لا يمشى على الرصيف

رحم الله أرصفة زمان

اهتم المهندسون عند بناء المدن وتخطيط الشوارع ببناء الأرصفة حتى تكون مكانًا آمنًا سالمًا لكل الناس ، ورُوعى فى تخطيط الرصيف أن يكون مرتفعًا عن سطح الشارع، وأن تكون مساحته معقولة ومبلطًا أو مزفتًا حتى يكون مستويًا ، ولا شك أن المشى رياضة وصحة ، وكلما وُجدت الأرصفة السليمة المنظمة النظيفة ، كلما شجعت الناس على المشى والرياضة والنزهة ، هذا ما يحدث فى كل دول العالم المتحضرة والمتخلفة والوهمية إن وجدت . . أما عندنا فى مصر المحروسة ، أو القاهرة الساحرة، فالرصيف له مهام أخرى إن وُجد ، وإنْ لم يوجد فهو جزء من الشارع ، ورحم الله أرصفة زمان النظيفة اللامعة المستوية الهادئة المشجعة على المشى ومتعة الفرجة والنزهة .الرصيف هذه الأيام يشجعك على تركه والمشى فى نهر الشارع والتعرض للخطر ، لأن المشى على الرصيف أصبح هو

الخطر بعينه ، وكم ابتلعت البالوعات المفتوحة على آخرها فى الرصيف أطفالاً ورجالاً وقصفت أعمارهم بسبب الإهمال الشديد والكسل فى إيجاد غطاء للبالوعات أو على الأقل الإشارة إلى أنها مفتوحة ! . . الرصيف يطرد الناس الذين يمشون عليه، فلم يعد يتحمل باعة الفاكهة وسيارات الميكانيكية وكراسى القهوجية وعربات الكشرى والفول وأقفاص العيش ولعب الأطفال وفراش المجاذيب والمتسولين الذين جعلوا منه حجرة للنوم ومرحاضًا . . و . .

كان الله فى عون الرصيف ، فلم يعد رصيفًا ، بل أصبح بوتيكًا أحيانًا للخرداوات ، ومتجرًا للفاكهة، ومسرحًا للعبة الثلاث ورقات، وجراجًا للسيارات، ومطعمًا للسندوتشات، وآخر مهمة للرصيف الآن هى المشى ، من هنا ابتعد الناس عن الرصيف ، وأصبح الحصيف لا يمشى على الرصيف ! ففى القاهرة، وكل عواصم محافظات مصر، توجد أرصفة عجيبة غريبة لا يوجد مثلها فى كل بلاد العالم ، هناك مثلاً رصيف له ثلاث مستويات فى الارتفاع ، فإذا مشيت عليه تضطر إلى الصعود والهبوط ثلاث درجات ، أليس هذا عجيبًا، والمفروض أن الرصيف هو ملجأ العجزة والمكفوفين والمكسورين والأطفال والنساء الحوامل ؟

ثم هناك أرصفة حافلة بالمطبات، ولا تعرف إن كانت مطبات صناعية أو إهمالية أو ماذا بالضبط ! ثم هناك أرصفة تخرج من أحشائها أسلاك وخراطيم بلاستكية أشبه كثيرًا بالشراك الخداعية ، وتتحالف هذه المطبات والأسلاك والخراطيم التى تخرج من باطن الرصيف ضد المشاة فتزل أرجل النساء والأطفال والرجال ويطب الجميع على أرض الرصيف المصونة، وتكون النتيجة كسر فى العظام ورضوض فى الرقبة وشروخ فى القدم ، وبدلاً من أن يذهب الناس إلى بيوتهم أو أماكن عملهم، يذهبون إلى المستشفيات ليعالجوا أنفسهم من آثار عدوان الرصيف عليهم ، وبالمناسبة فإن هناك صيحة فنية ديكورية هذه الأيام ابتدعها أصحاب المحلات والمتاجر الشيك، التى تكسب الملايين ولا تعرف أين تصرف أموالها ، هذه الصيحة هى رصف مساحة الرصيف التى أمام المتجر بالسيراميك اللامع الشيك الذى يسهل انزلاق المشاة على الأرض ، وكأنك تتزحلق على الجليد، وكان الله فى عون الناس والعباد .

ولا يخلو الرصيف من أولاد الحرام الذين يستغلون الزحام فى خطف وسرقة الناس الغلابة ، وسرقة أموالهم وخطف المشغولات الذهبية التى تتحلى بها نساؤهم ، أو ما معهم من مشتريات جديدة ، ثم يفرون كالحمامة ولا يستطيع أحد اللحاق بهم .

رصيف وسط الشارع

إذا تركنا الأرصفة الجانبية فى الشوارع الرئيسية وغير الرئيسية فإننا نعثر على رصيف وسط الشارع ، هذا الرصيف مخصص لتنظيم المرور وإجبار السيارات على السير فى حاراتها المخصصة لها وعدم الانبعاج، أو السير على الشمال ، والمفروض أن يدهن ويطلى هذا الرصيف باللونين الأبيض والأسود حتى يكون ظاهراً واضحًا معلنًا عن نفسه مرشدًا للمرور ، ولكن هذا الرصيف الغلبان لا تراه فى الشارع لأنه ليس له لون أو حجم أو رائحة ، وأحيانًا تراه مرتفعًا ، وفى معظم الأحايين يكون منخفضًا بمستوى الشارع تقريبًا ؛ مما يشجع هواة الخروج على القانون أو إشارات المرور ـ وما أكثرهم ـ للعبور فوقه فى الاتجاه الآخر، أو فى نفس الاتجاه ، وبذلك تنتفى مهمة هذا الرصيف . والعبد لله كثيراً ما يجد نفسه يسير بسيارته فوق هذا الرصيف لعدم رؤيته أو وضوحه أو وجود أى علامة تدل عليه ! لا علامات فسفورية أو ضوئية أو لونية أو هيدروجينية أو كتابية أو سيكلوجية !!

مستشفيات الأرصفة

نعود للأرصفة الرئيسية فى الشوارع والميادين الهامة لنفاجأ بمناظر إنسانية مؤذية ، هذا رجل بتر النصف الأسفل من جسده ! وذاك دون

ذراعين ، وثالثة تتحرك برعشة مخيفة وفى رقبتها آثار عملية جراحية حديثة ، ورابع يسير ويتدلى من جسده كيس للبول فهو مصاب ويعالج من البولينا !! وتعجب لهذا المستشفى على الرصيف ، ومع ذلك لا أحد من المسئولين الذين يشاهدون هذه المأساة اليومية يتحرك ليجير هؤلاء بالذهاب إلى المستشفى المكان الحقيقى لهم ! . . والعاهة ليست عيبًا أو مذمة ، وكم من أصحاب العاهات استطاعوا خدمة بلدهم وغيرهم وحوّلوا عاهاتهم إلى وسيلة لإظهار عبقريتهم والبحث عن مواهبهم الحقيقية ، أما أن يستغل بعض أصحاب العاهات حالتهم للتسول والكسب الرخيص واستثارة عواطف الناس فهذا ما نرفضه ، ويرفضه كل المجتمع . وهنا أتساءل: أين دور وزارة الشئون الاجتماعية فى حماية المجتمع من التسول ، وتحويل هؤلاء إلى قوة عاملة مفيدة للمجتمع ؟

هكذا تغير حال الرصيف فى مصر، وأصبح مصدراً للمشاكل ، بدلاً من أن يكون سلامًا وحماية ونزهة للناس ، وأصبح الحصيف لا يمشى على الرصيف تجنبًا لمخاطره وبحثًا عن السلامة . فهل يستطيع المسئولون إعادة الرصيف إلى رونقه وجماله ودوره المهم كما كان من زمان ؟

هذا ما نريده ، وما يريده الشعب .

الخصخصة والمضحكة

من الاقتصاد الموجه إلى الخصخصة

الخصخصة هى نظام اقتصادى يتبع نظرية اقتصاد السوق الحر ، وهى تطبيق للنظام الرأسمالى الذى ساد وانتشر وانتصر مع بداية التسعينيات ، بعد الفشل وخيبة الأمل التى أصابت نظام الاقتصاد الموجه ، أو الاشتراكية الوهمية التى أفقرت الشعوب والدول التى اعتنقتها . ومصر - كدولة تتطلع إلى المستقبل والخير والرفاهية - اتجهت إلى الإصلاح الاقتصادى ، ثم إلى الخصخصة ، حتى تتخلص من مشاكلها وتحقق السعادة لشعبها ، لكننا كالعادة طبقنا الخصخصة ولم نتنبه إلى مشاكلها وآثارها الجانبية البغيضة ، ولكاتب هذه السطور بعض الملاحظات : من العجيب أن مصر تطبق نظام الخصخصة نصًا وروحًا وعلانية ، وفى نفس الوقت تحتفظ بنصوص دستورها الذى يقول أن مصر تؤمن بالاقتصاد الموجه والاشتراكية وأهمية القطاع العام . . أليس هذا نوعًا من المضحكة ؟

شركات توظيف الأموال والإعلام

مع بداية عصر الخصخصة فى مصر نشأت شركات توظيف الأموال التى شجعها الإعلام على سرقة الشعب والناس الغلابة ، مما أصاب الجميع بالأمراض والطلاق والموت وتحطمت العلاقات الأسرية والاجتماعية بسبب ضحايا هذه الشركات الوهمية . . ألم يكن هذا نوعًا من المضحكة ، أو للهزار السخيف مع الشعب المصرى الضعيف. . ؟!

ومازالت الهزهَزَة مستمرة ، لأن ضحايا شركات توظيف الأموال مازالوا يعانون حتى الآن . . والخصخصة حولت المجتمع المصرى إلى مجتمع مستهلك ، مع أنه مجتمع نام يحتاج إلى تعلم الادخار والاستغناء ، والمدهش حقًا أن وسائل الإعلام تشجع على كثرة الاستهلاك وتعرض أنواع الطعام بالعشرات والمئات وبخاصة للأطفال ، ولكنها فى النهاية أطعمة محفوظة تُعرض من يتناولها ـ للأسف ـ لمرض السرطان بعد فترة معينة . . هذا ما يقوله العلم ، أما ما يقوله الرقص والإعلان فإنها تمنح الإنسان الصحة والعافية. وفى أحد المؤتمرات العلمية العالمية الأخيرة ثبت أن إعلانات التليفزيون ساعدت على ارتفاع نسبة مرض السكر للطريقة الجذابة لعرض إعلانات الأطعمة والحلوى ، وهذا طبعًا نوع من الهزّهَزَة مع صحة المواطنين وعاداتهم فى الشراء .

المليونيرات والمليميرات

قسم عصر الخصخصة المجتمع المصرى إلى قسمين رئيسين هما مليونيرات ومليميرات ، أى أغنياء جدًا ، وفقراء جدًا ، وتعبير مليميرات جاء من أصحاب الملاليم ، وللشباب الذى لا يعرف المليم أقول : إن المفروض أن القرش صاغ يساوى عشر مليمات ، وأنه لوقت قريب كان هناك تعامل بالمليم ، واسألوا آباءكم عن قيمة الملاليم هذه !!

دفع عصر الخصخصة الشباب والشيوخ - وحتى الأطفال - إلى حب المادة لدرجة العشق ، والبحث عن المال بأى طريقة حتى لو كان عن طريق الجريمة ، ووجدنا شبابًا (زى الفل) يعمل ويكسب ، لكنه من أجل زيادة الدخل والنهم على الحصول على مزيد من المال يرتكب أفظع الجرائم ، (ولعل حوادث القتل والسطو المستمرة تعبر عن ذلك أصدق تعبير !) .

الخصخصة والبطالة

يعانى العالم كله الآن من البطالة بنسبة كبيرة ، تقول الإحصاءات أن عدد العاطلين فى العالم الآن وصل إلى مليار نسمة ، وهذه البطالة سببها الرئيسى الخصخصة التى طردت العمال والموظفين من

مصانعهم ومكاتبهم ، وازدادت نسبة الفقراء فى كل المجتمعات ، ولنا أن نتصور الشباب المتعطل وماذا يمكن أن يفعل فى المجتمع ، وكذلك الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم ، إنهم قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر فى أية لحظة وتدمر كل شىء وتقضى على الأخضر واليابس ، أليس هذا استخفافا بحياة الناس ، ومضحكة غير مطلوبة ؟

أدت الخصخصة إلى تكوين طبقة من الأغنياء غناءً فاحشًا، ولم يعودوا مجرد مليونيرات ، بل مليارديرات، وظهرت هذه الطبقة فى المجتمع وكأنها ليست منه، تصرف فى سفه ، وتعيش كما فى الأساطير ، وتركب سيارات فاخرة ثمنها ملايين الجنيهات ، وينظر المواطن الشريف العادى الذى يعمل ليل نهار من أجل مائة جنيه فى الشهر إلى هؤلاء ويتساءل : ما هو الفرق بيننا؟ والإجابة هو عصر الخصخصة اللعين الذى فرق بين الجميع دون وجه حق أو دون عدل حقيقى ، وأصبح الكل يريد أن يعمل قليلاً ويكسب كثيرًا وكله فى حب مصر!!

العبدلله يعتقد أن العالم يحتاج إلى نظام اقتصادى جديد يحقق مصلحة البشرية كلها ، فالنظام الاشتراكى فشل فى التطبيق لأن زعماءه والذين تبنوه لم يكونوا صادقين فى عملهم، والنظام الرأسمالى الذى نطبقه الآن له إيجابياته وسلبياته أيضًا ، وإذا كان

لابد لنا من تطبيق الخصخصة فعلينا أن نتنبه إلى سلبياتها ونتجنب كل ما يسيء إلى المواطنين ، فمصلحة الشعب فوق مصلحة الأفراد ، ومصلحة الذين نطبق عليهم نظرية الخصخصة أهم من مصلحة الذين يخصخصوننا ، ولابد أن نفرق بين الخصخصة والمضحكة ، وكل خصخصة وأنت طيب .

الخصخصة والمرمطة

ما بين الاشتراكية والرأسمالية

أخفقت الاشتراكية فى تحقيق طموح الإنسان فى مستقبل مزدهر آمن غنى سعيد ، وأعطت الفرصة للنظام الرأسمالى فى أن يفرض نفسه على العالم ، ويتوحش ويتأسد ، ويأكل كل من يقف فى طريقه ، مع أن النظرية الاشتراكية إنسانية تدعو للمساواة بين البشر ، والرحمة بين الغنى والفقير ! والعيب ليس فى النظرية الاشتراكية فى حد ذاتها ، بل فى الذين طبقوا النظرية ، واستغلوها لمصلحتهم الشخصية، ونسوا أنها رسالة إنسانية قبل أن تكون نظامًا اقتصاديًا ، فشلت الاشتراكية لضعف نفوس الذين نادوا بها ، وعدم قدرتهم على الملاءمة بين النظرية والواقع ، مع أن الرسالات السماوية كلها دعت إلى الاشتراكية ، ونحن فى مصر نتبع دستوريًا النظام الاشتراكى رسميًا ، ومع ذلك فإن سياستنا الاقتصادية هى الرأسمالية التى تتمثل فى الخصخصة ، ونحن نتخصخص بسرعة غير عادية ، كل يوم نبيع

ممتلكاتنا ، حتى أصبحنا على وشك ألا نملك شيئًا، ونضع كل اقتصاد الدولة فى يد من يشترى ومن يدفع أكثر ، وقد حذر الرئيس القائد حسنى مبارك من خطورة الخصخصة وطلب مراعاة حق الموظفين والعمال فى الشركات والمؤسسات المباعة بحيث لا يفقد موظفٌ أو عاملٌ وظيفته أو دخله ، وكان القائد يعرف ما يمكن أن يحدث فعلاً ، ونسمع الآن حكايات كثيرة عن الشركات والمصانع والمؤسسات المخصخصة ، حكايات يشيب لها الوجدان ، ويدق من هولها القلب بشدة وعصبية ، وتحزن لها النفوس .

المستثمرون والموظفون فى ظل الخصخصة

هناك شباب يعمل بجد وإخلاص وتفان ، يحاول أصحاب الشركات والمصانع الجديدة أن « يطفشوه» من عمله بأية طريقة ، حتى يوفروا فى العمالة ، أو يعينوا أقاربهم وذويهم ، ويفعل المالكون الجدد بالعاملين جميعهم ، سواء كانوا من صغار الموظفين أو من كبارهم « ملاعيب شيحة » حتى يجبروهم على الاستقالة ، فمثلاً يحول مهندس للعمل كعتال ، ويخصم منه الحوافز و الأوفرتايم ، فيجد مرتبه كل شهر أصبح ٢٠٠ جنيه بعد أن كان أكثر من ألف ، ومدير عام يطلب منه أن يعمل سائقًا ، لأن حاجة العمل تتطلب ذلك ، وإلا يترك العمل !! موظف صاحب أولاد يعيش فى القاهرة

ينقل إلى فرع الشركة فى أسوان أو أسيوط، وإذا كان عاجبه !! طرق كثيرة مشروعة وغير مشروعة يعامل بها الموظف والعامل حتى يفقد صبره ويطلب الاستقالة، ثم تأتى مرحلة المساومة فتعرض عليه الشركة أو المصنع مبلغًا متواضعًا لكى يستقيل . . عشرين ألف جنيه تقريبًا ، ومبلغ مثل هذا لا ينفع (ببصلة) .

ماذا يفعل شاب فى مقتبل الشباب بمثل هذا المبلغ ؟ ويضطر الموظف أحيانًا إلى الاستسلام أمام جبروت وصولجان أصحاب الشركات الجديدة ، ويزيد عدد العاطلين ، وتزيد نسبة البطالة ، وبدلاً من أن يساهم المستثمرون الجدد فى القضاء على البطالة يفعلون العكس ، ويقدمون للمجتمع شبابًا ناجحًا بلا عمل أو مصدر رزق .

الأخطر من ذلك أن هؤلاء المستثمرين الجدد يساهمون وبقوة فى ضرب الصناعة الوطنية ، وقد سمعت أن بعض المصانع توقفت عن الإنتاج أو خفَّضت نسبته فى نفس الوقت الذى استوردت فيه نفس المنتج من الخارج، وعرضته للبيع فى متاجرها ، على عينك يا تاجر، وبذلك وفرت هذه الشركات الإنتاج المصرى وأحضرت واستوردت نفس الإنتاج وربحت منه الملايين دون وجع قلب وتشغيل مصانع وصرف مرتبات للعاملين وما إلى ذلك !! أليس هذا ضربًا فى الصميم للصناعة المصرية أن نستورد نفس المنتج ونخفض صناعته فى

مصر أو نوقفها؟ يحدث هذا بدلاً من أن نشجع الصناعة المصرية التى هى هدف عزيز لدينا . ثم أليس هذا أيضًا ضربًا للخبرة المصرية وتسويفها وتشريدها ؟

هذه الصورة أقدمها بلا أسماء للشركات وهى موجودة ومعروفة ، والموظفون يعبرون عن معاناتهم، ولكنهم قلقون على مستقبلهم ، ويخافون من الملاك الجدد لشركاتهم .

إنّ العملية ليست سهلة أو بسيطة ، لكنها تحتاج إلى بحث حقيقى لمعرفة الحقائق فى موضوع سياسة الخصخصة ، فليس معنى الخصخصة هو المرمطة لأبنائنا وإذلالهم وضياع مستقبلهم ، فهم المستقبل ، وأى ضرب لهم ضرب للمستقبل ، فلماذا لا نبحث عن نظام جديد يحقق مصلحة الجميع ، ويحافظ على شبابنا ومستقبلنا واقتصادنا ؟!

يا لحمة يا غرامى

أكل اللحمة يحدد الطبقة الاجتماعية

كلنا يتغنى بأغنية الموسيقار الخالد محمد عبد الوهاب « يا دنيا يا غرامى » وبخاصة عندما تعطينا الدنيا ظهرها ، وتكشف عن وجهها القبيح ، فنحن نتمسك بها ونحبها رغم كل شيء ، تقول كلمات الأغنية : « يا دنيا يا غرامى ، يا دمعى يا ابتسامى ، مهما كانت آلامى قلبى يحبك يا دنيا . . . » . .

وقد فوجئت يومًا وأنا صبى فى العاشرة من عمرى أن والدتى تغنى ، على غير عادتها ، أما الأغنية التى كانت تدندن بها فهى رائعة عبد الوهاب « يا دنيا يا غرامى » ، ولاحظت أن اللحن هو هو ، أما الكلمات فمتغيرة ، كانت أمى تغنى : « يا لحمة يا غرامى ، يا عشقى يا ابتسامى ، مهما ارتفعت أسعارك ، قلبى يحبك يا لحمة» .

إلى هذه الدرجة كانت أمى وجيلها كله يحب اللحمة ويجلها ويعشقها ، ويعتقد أن الشفاء كله فيها ، وأنها مصدر الصحة والعافية

والقوة والنشاط، ولا بأس من هذا فقد كانت المعلومات الصحية والثقافية الغذائية متواضعة ، وكان الأجداد والآباء يعتزون باللحم أيما اعتزاز ، ويفخرون بأنهم يلتهمون اللحم يوميًا ، وكانت موائدهم حافلة بأنواع اللحم (والهُبَر المختلفة) ، والأصناف المتنوعة ، والقطع الممتازة من الذبيحة . . فقد كان تناول اللحم معناه أن صاحبه من كبار القوم والطبقة الممتازة ، أو من الأعيان ، وكان المجتمع كله يفخر ويعتز باللحم ، حتى أنهم حولوا أغنية عبد الوهاب « يا دنيا يا غرامى» إلى « يا لحمة يا غرامى»، وقد ورثنا هذه العادة إلى الآن ، وما زال البعض منا يهيم شوقًا وإعجابًا باللحم ، ويتناوله كل يوم ، مع أن العلم أثبت خطورة تناول اللحم يوميًا وبكميات كثيرة لما له من أضرار على الصحة العامة ، والأمراض العديدة التى يسببها .

كل ما فى الذبيحة يؤكل

الإنسان يفترى على فريسته ، فعندما يذبح عجلاً أو خروفًا ، أو حتى بطة أو أوزة ، فإنه يستغل كل قطعة فيها ، حتى الجلد أو الريش له استخدامات أخرى بعيداً عن الطعام ، أما اللحم فيؤكل كله ويتفنن الإنسان فى طهيه وصناعته ، فرأس الذبيحة بها المخ الذى يقدم مسلوقًا أو محمراً « بانيه» أو ضمن طبق المشهيات ، كما يفعل أبناء الشام ، وعينا العجل أو الخروف يطلق عليها الجوهرة وتؤكل باللحم

السمين الذى حولها ، أما الجبهة فهى من أجود أنواع اللحم ، لأن المتذوقين للحم يقولون أن اللحم الذى يجاور العظم هو المفيد واللذيذ، ونأتى للسان ، وهذا يعرف بوضعه على المائدة كمشهى للطعام ، أو يصلح للسندوتشات ، أو يؤكل (ترنشات)، فإذا وصلنا إلى الرقبة فهى غنية باللحم الذى يكسوها ، بعد ذلك يأتى الإنسان على جسم الذبيحة ، هذه هى الكبدة التى تقدم مشوية أو مسلوقة ، أو محمرة (بانيه) ، وهى تعالج مرض الأنيميا لأنها غنية بالحديد ، والبعض يلتهمها نيئة دون طهى ، كما يفعل العبد لله ، لأنها تكون أفيد ، لأن النار تقتل بعض فوائدها ، وهناك الطحال وهو قريب فى الطعم من الكبدة ويقدم بنفس الطريقة ، ونأتى لمصارين الذبيحة، ومع أنها تحوى فضلات سيئة إلا أننا نغسلها جيداً ، ثم نصنع منها (الممبار) ، وهو طعام لذيذ الطعم مفضل عند الجميع ، بل إن البعض يتناوله بدلاً من اللحم ، والممبار نوع من المحشى ، يحشى بالأرز واللحم، ومنه الممبار الرفيع والسمين ، ويفضله البعض بالشطة ، ومن رقعة البطن ؛ بطن الذبيحة ، يصنع منديل من الدهن الخالص يحشى باللحم ويقدم باسم الطرب ، وهو سمين جداً ، أما القلب نفسه فيسلق ويحمر ويقدم كصنف محبب ، هذا بالإضافة إلى اللحم الأصلى للذبيحة والذى تصنع منه أطباق مختلفة لذيذة شهية ، فهناك اللحم البارد الذى يصنع من عرق الفخذ ، وهناك اللحم المسلوق،

والمحمر ، والكباب ، النيفة من الماعز ، الضانى ، اللحمة بالبيض ، وهُبَر اللحم المسلوق الذى يزين «أنجر» الفتة ، والمتوج باللون الأبيض وهو الدهن الغنى « بالكوليسترول» والذى يقصف عمر الإنسان ويقرب زيارته لترب الغفير أو السيدة عيشة ، أو باب الوزير ، إذا كان مسلمًا . . أو ترب مارمينا أو الست بربارة أو الجبل الأحمر لو كان مسيحيًا ، وبالمناسبة فإن البعض يموت عشقًا فى « لية» الخروف ، وهى ليست غنية بالكوليسترول وحسب ، بل هى الكوليسترول ذاته ، ويفضلها البعض مسلوقة ، أو محمرة ، ويمكن صناعة البيض النجوم معها لتزيد كمية الدهون ، والبعض يقسم اللية هذه إلى أجزاء صغيرة ويحمرها لتصبح [قشيمًا] ويؤكل هذا [القشيم] فى سندوتش ، وتوضع قطع منه مع المحشى أحيانًا لتزيد من لذته ، كما تضاف للفول أحيانًا ، وحتى عظام الفريسة لا يتركها الإنسان وإنما يصنع منها الشوربة [الحساء] ثم قدم وساق العجل أو الخروف يصنع منه الشوربة وتؤكل (المادة الجيلاتينية)، وهى ما نسميه الكوارع ، ولها عشاقها .

من اللحم أيضًا تصنع أطعمة كثيرة منها (السوسيس ، واللانشون ، والهامبورجر ، والقشطة البيضاء ، القشطة الحمراء ، السجق ، الكفتة) ، ومن توابع اللحم أيضًا «الفشة» ، «الكرشة» التى تتفنن

السيدات ، وبخاصة سيدات المناطق الشعبية (بنات البلد)، فى طهيها وإضافة الصلصة ، والتوابل والحمص إليها لتزيدها فائدة ولذة . . ألم أقل لك أن الإنسان يفترى على ذبيحته فيأكل كل جزء فيها ، ويتفنن فى طهيها وتناولها بالهناء والشفاء؟

من أضرار اللحمة

كاتب هذه السطور ، كأى مصرى يحب اللحم ، ويعشق الفتة بالهبُر ، ويموت فى الممبار ، ويتمتع ببعض الدهون واللية، ولكن بشىء من الحرص والاكتفاء بالقليل، ويحاول أن يطبق المبدأ الذى قاله كاتبنا الكبير سلامة موسى ، وهو أن يتذوق الطعام بعقله لا بلسانه ، وقد حدث هذا بعد أن تثقف وعرف خطورة تناول الطعام بكثرة ، وبخاصة اللحم ، فاللحم الكثير يؤدى إلى أمراض شتى مثل النقرس الذى يصيب الأفراد فى أطراف أجسامهم ، ويعوق قدرتهم على المشى، وأعرف أحد أقربائى تمكن منه مرض النقرس هذا ، فكان يمشى على يديه وقدميه كالحيوان بسببه ، وقد أطلق الناس على هذا المرض مرض الملوك ، لأنه يصيب من يأكل كميات كثيرة من اللحوم، وهؤلاء هم الملوك والرؤساء والأغنياء ، وبالمناسبة فإن هذا المرض يصيب أيضًا من يكثر من تناول الفوليات ، أى الفول المدمس، وأنواع الفول الأخرى ، ولذلك أصبح النقرس مرض الملوك

والصعاليك، وهذا أيضًا يدل على أن الفول مثل اللحم فى فائدته ومضاره، ويستطيع كل إنسان أن يستبدل اللحم بالفول .

من عادتنا المصرية الكرم الزائد فى إقامة الموائد وتقديم الطعام الوفير ، وبخاصة أنواع اللحوم والطيور والحلوى وغيرها ، والكرم جميل ، لكن الإسراف خطأ وخطير ، وكثيرًا ما أدعى إلى هذه الموائد وأحزن لكمية اللحوم والطعام المتنوع الذى يلقى به فى سلال القمامة ، طعام فائض باق يكفى العشرات من المحرومين الذين لا تسمح دخولهم بتناول مثل هذه الأطعمة ، هذا غير كمية اللحم الكبيرة التى يلتهمها البعض فى هذه الموائد والتى تجعلهم يتألمون ويعانون لمدة أسبوع بعدها ، بل ويذهب البعض إلى المستشفيات لعمل غسيل معدة، والعلاج من النقرس ، والكوليسترول والتخمة والقلب، والأمراض الكثيرة التى تنتج عن تناول اللحوم بشراهة و(طفاسة) .

والإنسان هو الحيوان الوحيد «الطفس» الذى يأكل أكثر مما يحتاج، ويحشو معدته كالبالون ، فى نفس الوقت الذى يكتفى فيه الحيوان بحاجته من الطعام لمجرد الشبع . . وقد تنبه العالم المتحضر ، وحذر العلم الحديث من مخاطر تناول اللحوم بكثرة ، وبخاصة الدهون ، وشجع تناول الخضر والفاكهة الطازجة ، والزيوت النباتية الخفيفة مثل

زيت الذرة ، وزيت عباد الشمس ، بل إن علماء التغذية تشككوا أخيراً فى زيت الزيتون الثقيل على المعدة ، وهنا أيضاً أحب أن أقول : إن زيت النخيل غنى بالكوليسترول الضار بالصحة ، وأتعجب من الإعلانات الكثيرة عنه وأسأل المسئولين فى الإذاعة والتليفزيون : هل من أجل عيون الإعلانات نضحك ونكذب على الناس ، ونقدم لهم السم على أنه شهد ؟

الصحة ألذ من اللحمة

من حقك أن تتمتع بحياتك ، والطعام جزء من متعة الحياة ، تمتع وتناول كل شىء ، لكن بعقل وبالكميات المناسبة التى لا تهدد صحتك، فالصحة تاج على رؤوس أصحابها ، والتمتع بالصحة ألذ كثيراً وأنفع من التمتع بالطعام، وبخاصة اللحم الذى فيه الشفاء والشقاء والبقاء أو الانتهاء .

ورحم الله أمى التى ما زال صوتها يرن فى أذنى وهى تغنى « يا لحمة يا غرامى»، وهو ما شجعنى على كتابة هذا المقال ، وأرجو ألا أكون قد فتحت شهيتك على الطعام لتقوم وتهبر كميات من اللحم ، ويصبح كلامى هذا فى خبر كان . . أما إذا أردت أن تعرف كمية اللحم المناسبة فى الطعام ، فعلماء التغذية يقولون: إن الإنسان

العادى يحتاج لمقدار مئة جرام من اللحم يوميًا ، أى قطعة صغيرة يبلغ حجمها ٤×٥ سنتيمترات، وتصور مثلاً أن بعض الناس يأكلون نصف كيلو جرام ، ونصف الكيلو يحوى خمسمائة جرام ، أما الباقى خمسمائة جرام فيعبث بالجسم ، ويعوق حركة القلب والمعدة ، ويضعف نشاط الإنسان ، ويصيب الإنسان بالأمراض التى تحدثنا عنها، ويقصف العمر لا سمح الله .

السيمفونية المصرية الناقصة

العزف على أوتار الثواب والعقاب

الشعب المصرى شعب متحضر قوى مؤمن ، تستطيع أن تكتشف فيه ملامح حضارة آلاف السنين ، وهو عندما يعمل تجده كأعضاء (الأوركسترا) يعزف سيمفونية رائعة متكاملة متآلفة النغمات ، لكن المشكلة أنه يحتاج دائمًا لمن يحفزه على العمل ، ويدير العمل نفسه ، ويقوده حتى النهاية ، فقد تعودنا ، للأسف ، أن نبدأ أى عمل بهمة ونشاط ، وسرعان ما نتلكأ ونتعطل ، فتخرج السيمفونية ناقصة شاذة النغمات. وأعتقد أن السبب الرئيسى فى هذا هو وجود جماعة المعطلين الكسالى الذين قال عنهم الدكتور طه حسين : « الذين لا يعملون ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس »، وحتى تكتمل السيمفونية يجب أن نقوّم هؤلاء الكسالى ، فإما أن يعملوا وإما أن يتركوا العمل لغيرهم ، فلا مجال فى مجتمعنا للكسالى ، فنحن فى حاجة إلى كل دقيقة عمل وجهد وعرق من أجل مستقبلنا وحل مشاكلنا ، ولابد من

تنفيذ خطة الثواب والعقاب فى العمل ، فالعامل المجد المجتهد لابد أن يثاب على عمله فيرتقى فى السلم الوظيفى ، وينال المكافآت والحوافز وغير ذلك ، أما الكسول المتراخى فلابد من عقابه حتى يعمل ويفيق من كسله، هذه أولى القواعد من أجل سيمفونية مصرية كاملة.

ولابد أن نتخلص من حركات الفهلوة والكلمات السخيفة ، مثل (فتح عينك تأكل ملبن) . . (مشى حالك) . . (أنا بتاعك يا بيه) . . (طنش تعيش) . . (اسرق واحرق) . . !! والسيمفونية المصرية تكون ناقصة عندما نطبق القانون فى مكان ونهمله فى آخر ، وأبسط مثل على ذلك أن مترو الأنفاق ما زال نظيفًا ، لا أحد يستطيع التدخين فيه وإلا يدفع غرامة فورية عشرة جنيهات ، المواطن يحترم المترو لأنه يجد أن الدعوة جدية ، ونفس هذا المواطن يدخن فى المواصلات الأخرى العادية ، لأنه يعرف أن القانون، نفس القانون، لا يطبق هنا ، وشيء عجيب أننا دخلنا القرن الحادى والعشرين، ومع ذلك غير قادرين على منع التدخين فى المواصلات !!

وشباب اليوم للأسف يجلس على المقاعد الخاصة بالمرضى وكبار السن ضاربًا عرض الحائط باللافتات التى تخصصها لغيره ، بل ويراهم واقفين أمامه دون أى احترام لهم .

الأبهة فى كل مكان

مصر دولة فقيرة ، ومع ذلك نجد مظاهر الغنى والأبهة واضحة فى كل تصرفاتنا ، ومع أن القطاع العريض من الشعب فقير فإن الضرائب الميمونة تعامل محدود الدخل والفقير كما تعامل المليونير والملياردير !! والتليفزيون الساحر العجيب يعرف أننا شعب فقير نشترى الأحذية بالعافية ، بل ويوجد من يستغنى عنها ، ومع ذلك يعلن فى جرأة واعتزاز عن أحذية المرفهين ، كبار القوم ، أحذية تضىء من الخلف ، وأخرى تضىء من الأمام ، وأحذية تمشى من تلقاء نفسها . . !! وأحذية تعزف مزيكة حسب الله!

الأمية والدروس الخصو صية

والسيمفونية المصرية الناقصة تتجلى فى أبهى صورها فى مجال الأمية والتعليم ، فالتناقض شديد بين عدد الأميين وعدد خريجى الجامعات ، وهذا لا يوجد مثله فى أى دولة أخرى ، ففى حين نعانى من الأمية التى تبلغ أكثر من خمسين فى المائة على الأقل ، نعانى أيضًا من زيادة عدد الخريجين بعشرات الآلاف دون أن نعد لهم مكانًا فى العمل ، أو نستغل طاقاتهم فى أى شىء ، وعلى الأقل كان يمكن أن نستغل هذا الشباب الواعد والمتحمس فى محو الأمية منذ البداية ولكننا لم نفعل .

وتلاميذ المدارس ، وبخاصة الشهادات ، والثانوية العامة بالذات يشكون مُر الشكوى من الدروس الخصوصية (وأسعارها المولعة) ، فيأتى وزير التعليم ويبتكر نظامًا جديدًا للثانوية العامة يجعل الشهادة على سنتين، فتعم الفائدة على المدرسين ، وبدلاً من أن تكون الدروس الخصوصية فى سنة واحدة ، أصبحت فى سنتين، وزادت أسعار المدرسين ، وخراب بيت التلاميذ وهذا الكلام حقيقى، واسألوا أولياء أمور التلاميذ .

الإرهاب و صرامة المواجهة

منذ السبعينات ومصر ، والعالم كله يعانى من الإرهاب ، وعلى المستوى المحلى ، المصريون كلهم تقريبًا ضد الإرهاب والتدمير والتخريب ، ولكننا باسم الديمقراطية تهاونّا فى حربنا ضد الإرهاب ، حتى أفصح الإرهابيون عن وجههم القبيح وجاءوا وانتشروا فى شوارع المدينة وتحت بيوتنا، يقتلون ويدمرون ، ويهددون الأبرياء ، لماذا لم تعزف مصر كلها سيمفونية العداء للإرهاب ، حكومة وشعبًا، إعلامًا ودينًا ، فكرًا وغناءً ، لو كنا قد فعلنا ذلك منذ البداية لكنا قد استرحنا الآن من الإرهاب والإرهابيين ، واتجهنا للعمل والكفاح والإنتاج . ومع أننا نعزف الآن سيمفونية كراهية الإرهاب والوقوف صفًا واحدًا ضده ، إلا أن البعض ما زال متخوفًا مترددًا ، مع أن

المسألة نكون أو لا نكون ، نحيا حياة القرن الحادى والعشرين ، أو نعود إلى عصور الظلام والهمجية ، وهناك كتاب للمستشار محمد سعيد العشماوى ، المفكر المصرى المعروف ضد الإرهاب ضد الإرهاب ، يُدَرَّس فى تونس حتى يشب التلاميذ ضد هذه الأفكار الهدامة ، والسؤال . . لماذا لا يُدَرَّس مثل هذا الكتاب فى مصر إذا كنا ننادى بالقضاء على الإرهاب فعلاً ؟!

هذه مجرد ملاحظات على السيمفونية المصرية الناقصة ، والتى نريد لها أن تكون رائعة النغمات متآلفة شجية حتى نتمتع بها جميعًا، وتسعد بها الأجيال القادمة .

الانتماء المفقود .. كيف نعيده ؟

الانتماء المفقود والتعليم

الحديث عن الانتماء المفقود هو حديث الساعة ، الأطفال الأبرياء لا يعرفون معنى الانتماء ، الشباب يريد تحقيق مصالحه وحسب، ومناهج التعليم حاول البعض حذف فترات تاريخية مهمة منها حتى لا يشعر الأبناء بالانتماء وحب الوطن ، حتى الآباء والأمهات خلت حياتهم من التأمل والجلوس مع الأبناء لمعرفة مشاكلهم وشرح أهمية الانتماء وحب الوطن لهم . والعالم كله يدرس تاريخ حضارة مصر القديمة لما له من أهمية فى تاريخ حياة الإنسان ، إلا أن بعض العباقرة المعقَّدين فى مصر ألغوا فترة التاريخ الفرعونى وفترة التاريخ القبطى من دراسة التاريخ فى المدارس ، أو على الأقل مرّوا عليها مرّ الكرام، فلم يفهمها الطلبة ولم يستوعبوها وبالتالى لم يعتزوا بها الاعتزاز الكامل ، الذى يدفع الطلبة من البلاد الأخرى إلى زيارة مصر لمشاهدة آثار هذه الحضارة العظيمة . ونحن نعرف أن الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم سيهتم بهذه النقطة ، ليعرّف أبناء

مصر بتاريخ بلدهم كاملاً بكل فتراته ومراحله المهمة ، المرحلة الفرعونية، ثم القبطية ، ثم الإسلامية، ثم الحديثة ، حتى يعرف أبناؤنا كيف تكونت حضارة مصر الحديثة ، من هذه الحضارات الرائعات المتتاليات ، وعندئذ سيشعرون بحب مصر وتاريخها ، والحب أولى درجات الانتماء .

العلم المصرى رمز الانتماء

من مظاهر عدم الانتماء الجهل بأهمية وقيمة عَلم مصر ، وشكله ولونه ، واختفاؤه من أعلى المؤسسات والوزارات والمدارس والمصالح، وتستطيع أن تمشى فى شوارع العاصمة القاهرة ، وتبحث عن علم مصر بين المؤسسات والشركات ، ولن تجده إلا كل عشر مؤسسات أو أكثر ، وستجده قديمًا متهالكًا باهتًا ، مجرد قطعة من القماش ، فى نفس الوقت الذى تعتز شعوب العالم كله بأعلامها ، وتعلقها لا أعلى وزاراتها ومؤسساتها فحسب ، بل على بيوتها وعلى صدرها أحيانًا .

ونحن نرى فى الاحتفالات العسكرية ، أهمية العلم وكيف يرتعش حامله من الرهبة ، فهو رمز الكرامة والحرية وشموخ الدولة . . ، وبمناسبة الحديث عن العلم فإن معظم مدارسنا نسيت عادة تحية العلم كل صباح، وهتاف « تحيا جمهورية مصر العربية » الذى كنا نقوله

مدويًا فنشعر بحب بلادنا، ونعتز بها، ونذكرها كل صباح مما يزيد الانتماء . والشيء الغريب أننا نجد أطفالنا الأبرياء يلعبون ويلهون بدراجاتهم وقد رفعت عليها أعلام أمريكا ، وليتها تُرفع بجانب أعلام مصر ، ولكنها رُفعت وحدها واختفى عَلم مصر ، وهذه الظاهرة السيئة موجودة فى مجتمعنا بصورة واضحة ، ولا أحد من أولياء الأمور ورجال التربية يلتفت إليها لينبه بضرورة رفع أعلام مصر على دراجات الأطفال الأبرياء الذين سوف يكبرون، ولا يعرفون غير شكل ولون العلم الأمريكى فحسب !!

لو لم أولد مصريًا لوددت أن أكون مصريًا

وشبابنا ـ للأسف ـ يعانى من مشاكل كثيرة ، البطالة والإدمان والإرهاب ، وعدم إتاحة الفرصة ليأخذ حظه فى الحياة ليتزوج ويفتح بيتًا ويصبح مسئولاً عن أسرة وزوجة وأولاد ، ولكن مشاكلنا فى طريقها للحل ، ويجب أن نشرح لشبابنا هذا ، حتى لا يفكر فى الهجرة والعمل فى الخارج ، ويفقد هويته وانتماءه.

نعم لدينا مشاكل، ولكننا نعمل لحلها ، ولن نستطيع العمل لحلها دون مساعدة الشباب ، فمصر لن يبنيها ويعمرها إلا شبابها المنتمى إليها والمؤمن بمستقبلها ، ويستطيع الشاب أن يفكر فى العمل فى الخارج مدة معينة، ثم يعود إلى بلده يعمل فيها ويزيد الإنتاج ويقدم

خبراته كلها لها ، وكفانا خسارة لشبابنا وعلمائنا الذين هاجروا وقدموا عصارة عبقريتهم وجهدهم لبناء دول وحضارات أخرى. إن مصر تملك الخير الكثير لأبنائها، فقط نحتاج إلى عدالة التوزيع والاهتمام بمواهبنا وشبابنا حتى يعطوا كل ما لديهم من أجل مصر .

إن الانتماء المفقود هو حصيلة إهمالنا لأبنائنا وشبابنا ، ونستطيع بشيء من الاهتمام التدريجى أن نعيد كل شيء إلى ما كان عليه ، وأبناء هذا الجيل ليسوا بأقل وطنية عن أبناء الأجيال السابقة ، وهنا نذكر الزعيم الشاب « مصطفى كامل » الذى كان يردد دائمًا : « لو لم أولد مصريًا لوددت أن أكون مصريًا» . . وأبناء هذا الجيل يودون أن يرددوا مثل هذه الشعارات الجميلة الصادرة من القلب ، علينا فقط أن نهتم بهم ونعطيهم الفرصة فى حياة كريمة ، ونسوّى بينهم ، ونعلمهم الوطنية الحقيقية .

ومصر التى قدمت الحضارة قديمًا لكل الدنيا ، تستطيع بجهد وعرق أجيالها الجديدة أن تحقق المستحيل ، وتبنى حضارة جديدة تخدم بها الإنسان فى كل مكان ، ولعل أبسط مثل على عبقرية وعلم وجدية الشاب المصرى هو نجاحه فى الخارج فى أى موقع يشغله، وإذا أتحنا له المناخ الذى يجده فى الخارج ، فإنه سيحقق الكثير فى مصر .

فى أمريكا يضربونها !

مسكينة هى المرأة فى عالمنا هذا ، فهى دائمًا مغلوبة على أمرها مضطهدة معذبة ، مطحونة فى العمل داخل البيت وخارجه ، وحتى البلاد المتحضرة المتقدمة تضطهدها وتنظر إليها نظرة العبيد ، أو على الأقل نظرة مواطن من الدرجة الثانية . وقد تعجبت وأنا أقرأ جريدة الأخبار الغراء منذ بضعة أعوام من خبر نشر فى الصفحة الأولى يقول: « . . أكدت الإحصائيات الأمريكية أن سيدة أمريكية تتعرض للضرب كل ١٢ ثانية ، وأن امرأة تُقتل كل ست ساعات بينما تتعرض أكثر من ٤ ملايين أم وزوجة وابنة للضرب العنيف المتكرر كل عام . . ». دفع هذا الخبر السيئ الحزن إلى نفسى ونكد علىّ وأصابنى باكتئاب طوال اليوم ، وقلت لنفسى : حتى فى أمريكا يضربونها ويعذبونها ! وإذا كان الحال فى العالم المتحضر هكذا ، فما بالك بحالة المرأة السيئة فى العالم الثالث ، أو النائم ، أقصد النامى عندنا؟! إنهم لا يعذبونها فقط وإنما يقتلونها مع سبق الإصرار لمجرد

الشك فيها ، أو عدم قيامها بواجبها ، أو أى سبب تافه خرافى بسيط . . وليست هذه الحال السيئة جديدة على المرأة ، بل إنها على مرّ التاريخ الإنسانى وهى تتعذب وتضرب وتتحمل من أجل غرور الرجل الذى تخيل أنه ملك هذا الكون ، وأسد الغابة ، يفعل ما يشاء حتى بنصفه الآخر « المرأة » ! يقول « كونفوشيوس» الحكيم الصينى عن المرأة : « إن المرأة أكبر قوة فساد وإفساد فى العالم »!

ويقول الفيلسوف أفلاطون :

« الفاسدون والذين كانت حياتهم شرًا يتحولون إلى نساء بعد ميلاد جديد » .

أما « شوبنهاور» فيلسوف التشاؤم فيقول :

« إن المرأة حيوان يجب ضربه وتعذيبه جيدًا وسجنه » .

هكذا كانت النظرة الضيقة السلبية التافهة للمرأة ، حتى من الفلاسفة والحكماء ، وإنّ موقفهم السيئ هذا من المرأة يجعلنا نعيد نظرتنا وتقييمنا لهم ، فليس حكيمًا ولا فيلسوفًا من يسيء إلى المرأة ويضعها فى وضع أقل من الرجل ، فالمرأة أصل الحياة ، بل هى الحياة ، وهى الحب ، وهى الحنان ، وهى المستقبل عن طريق تربية أبنائها ، وهى الملاذ للرجل عندما تضيق الحياة به ، وهى الأمل فى

إنسانية بلا مشاكل ولا حروب . وعلم الأنثروبولوجيا ـ علم الإنسان ـ لا يفرق بين الرجل والمرأة فكلاهما يملك العقل الذى وهبه الله للإنسانية ، ليفرق بينها وبين الحيوانية ، وكلاهما مفكر مبدع فنان مخترع ، إذا أتيحت لهما الفرصة .

سيدات أثرن فى تاريخ البشرية

وقد عرفت فى حياتى عن طريق قراءاتى وصداقاتى كثيراً من النساء الفضليات المفكرات المبدعات ، اللائى لا يقل إنجازهن عن الرجل ، بل يزيد أحيانًا ، عرفت (هيلين كيلر) معجزة القرن العشرين فى الصبر والتفوق على ثلاث عاهات جسيمة ، ثم التألق والإبداع وتأليف الكتب ، وعرفت (مارى كورى) الفتاة البولندية الفقيرة التى كافحت حتى ذهبت إلى فرنسا وكرست حياتها لتكتشف مادة « الراديوم» الذى يستخدم فى علاج بعض الأمراض ومنها السرطان ، وأهدته للإنسانية ، وماتت من أثره على جسمها . . ، وعرفت (جان دارك) الفتاة الفرنسية الصغيرة الطاهرة التى استشهدت فى سبيل وطنيتها . . ، وعرفت (مرجريت توتولانى) الفتاة الألبانية الشجاعة التى استشهدت فى سبيل تحرير وطنها ألبانيا سنة ١٩٤٤ . . ، فى رومانيا قابلت الدكتورة « آنا أصلان» مكتشفة

دواء (جيروفتيال) المجدد للحيوية والشباب ، ووجدتها شعلة من النشاط وهى فى سن الثمانين .

وفى مصر عرفت الفلاحة المصرية التى كانت أول فتاة تحصل على «البكالوريا» (نبوية موسى) ، أول رائدة لتعليم البنات فى مصر ، وأم المصريين (صفية زغلول) ، ابنة الباشا التى انضمت إلى صفوف الشعب ، واشتركت فى ثورة سنة ١٩١٩ من أجل زوجها سعد زغلول وحرية بلادها ، والأديبة (مى زيادة) صاحبة الصالون الأدبى المعروف ، والثائرة (هدى شعراوى) التى حررت بنت بلدى من الأفكار الرجعية والحجاب الفكرى . . وقابلت (أم كلثوم) وأعجبت بثقافتها وسحر صوتها ، وتواضع شخصيتها وكانت متربعة على عرش الغناء ، كذلك قابلت (أمينة السعيد) الأستاذة الفاضلة والصحفية التى لم تتخل عن قلمها حتى آخر عمرها وهى فى الثمانين من عمرها ، وأول فتاة مصرية تلعب لعبة « الشيش» ، وقالت لى أمينة السعيد : إنها كانت تساعد زوجها فى بداية حياتهما الزوجية بنصف مرتبها [جنيه ونصف الجنيه] ولم يوافق زوجها فى البداية ، ولكنه اضطر أمام إصرارها على القبول .

قضية المرأة يجب أن تحسم

قضية المرأة من القضايا الهامة التى يجب أن تحسم ، فالمرأة مثل

الرجل فى كل شىء ، يجب على المجتمعات أن تنظر لها النظرة الواجبة من الاحترام ، وإعطائها كافة حقوق الرجل وواجباته ، وهى ليست جنسًا آخر ، وإنما هى من نفس الجنس ، وهى ليست خادمة للرجل وإنما هى مكملة له ، وهى ليست كائنًا غريبًا من كوكب آخر وإنما هى إنسانة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وعلى الرجل أن يتخلص من نظرته المتخلفة الحيوانية البدائية للمرأة، ويحمل لها كل الحب والاحترام ، فهى نصف المجتمع ، بل النصف المهم فى المجتمع ، وكلما شعر الرجل برجولته وفحولته عليه أن يزداد احترامًا وحبًا للمرأة ، وأن يساعدها بقدر استطاعته فى البيت وفى العمل ، وهذا ليس عيبًا وإنما رجولة حقيقية وفهمًا راقيًا لدور المرأة ومكانتها ، وكلما تمتعت المرأة بمكانة رفيعة فى المجتمع كلما دل ذلك على رقى وتقدم هذا المجتمع .

أيها الرجال : « أحبوا نساءكم ، واعطفوا عليهن وساعدهن وستجدون النتيجة فى صالحكم أولاً وأخيرًا » .

الرحمة .. يا ملائكة الرحمة

العالم كله يعانى من الأزمة الاقتصادية ، حتى العالم المتحضر الغنى ، فما بالك بالدول النامية المسماة بالعالم الثالث ؟ ومصر دولة نامية تحاول اللحاق بالتقدم والرفاهية ، وقد تحمل شعبنا الكثير من أجل مستقبله ، والحمد لله أن الأمل كبير فى تحقيق ما نتمناه ونرجوه، لكن المشوار مازال طويلاً ، وإذا كانت الإرهاصات الأولى للتنمية والتقدم قد ظهرت فإنها مازالت تحبو، والأزمة الاقتصادية والفقر مازال يجثم على صدر الكثيرين ، وبخاصة الموظفين ورجل الشارع ، من هنا يمكن القول: إن أمامنا شوطًا طويلاً حتى نحقق الرفاهية المطلوبة، والتى تحقق سعادة الجميع ، هناك فئة من الشعب المصرى استطاعت أن تحقق الأمن الاقتصادى لنفسها ، وترفل فى النعمة ، لكنها فئة قليلة العدد ، لا تعبر عن الشعب المصرى كله ، والفئة الكثيرة الغفيرة مازالت تعانى الفقر والعوز والحرمان ، ولست أغالى إذا قلت إن هناك بعض الأسر فى مصر تعانى من الفقر فى

الطعام والكساء والعلاج، غير أن الإنسان يستطيع أن يسد رمقه بأى نوع من الطعام ويشبع ، يستطيع الإنسان أن يأكل « العيش الحاف» ويشبع ، أو يأكل بعضه ويشبع ، ويستطيع الإنسان أن يرتدى الملابس القديمة المهلهلة ، أو الخيش أو أى شىء يقيه البرد أو الحرارة ، ولكن لا يستطيع المريض أن يتعرف على مرضه بسهولة، ثم يشترى الدواء بأثمان باهظة ! الذى يمرض فى مصر من الفقراء ليس له إلا انتظار الموت ، وحتى الموظفين وكبارهم ، إذا أصيب أحدهم بمكروه لا قدر الله ، فإن نهايته محتومة ، وطبعًا لا يستطيع السيد رئيس الجمهورية أن يعالج كل المواطنين على نفقته ، فهذا له حدود، والحكومة تحاول جاهدة علاج جميع المرضى، لكن إمكاناتها ضعيفة .

أسعار الكشف والدواء تحتاج إلى علاج

نحن شعب متدين نؤمن بالله ، ونعرف ضرورة الزكاة والعطاء ، ومع ذلك مازال الفقر يهدد الناس ويخرّب بيوتها ، ومازالت أسعار الدواء « نار يا حبيبى نار »، وزاد الطين بلة أن السادة أطباءنا الكبار يرفعون أسعار الكشف من حين إلى آخر ، حتى أصبحت الأسعار فى حدود المائة جنيه وأكثر للكشف فقط ، غير تحديد العلاج سواء بالعمليات الجراحية التى تصل فى بعض الأحيان إلى عشرة آلاف جنيه وأكثر ، بالإضافة إلى الدواء الضرورى والذى يصل ثمنه إلى

مئات الجنيهات وألوفها ، فماذا يفعل رجل الشارع ، أو الموظف الكبير ، هل يبيع نفسه أو أولاده ؟ ولن يجد المشترى !! . . هل يسرق ؟ لا يستطيع، فإن هذه الفئة بالذات تتمسك بالقيم وترفض الطريق المعوج البعيد عن قيمها ومبادئها .

يضطر المريض أن يتحمل المرض حتى يفعل الا ما يريد ، الأطباء الكبار يرفعون الأسعار دون سبب ، وكأنها أسرار ، وأصبح الأطباء فى منافسة وسباق مع طبقة المدرسين المتخصصين فى الدروس الخصوصية ، والذين وجدوا فى نظام الثانوية العامة الجديد فرصة فى الاسترزاق وتحقيق الغنى الفاحش على حساب رجل الشارع ، المواطن المصرى الغلبان ، الذى أصبح محتاراً كيف يواجه السادة الكبار ، الأطباء والمدرسين ، وأسعار الشقق النار ، هذا غير الجزار ، والبيوت أسرار ، وكم من الرجال تصعب عليه الشكوى وهو يكاد يعيش على الفتات ، لا يجد الطعام المناسب ، ولا الكساء المناسب ، وأخيراً الدواء الذى هو حق لكل إنسان ، بل لكل حيوان ، والعجيب فى المجتمع المصرى هذه الأيام ، أن هناك حيوانات أليفة تعيش سعيدة ، تأكل اللحوم المفيدة وتشرب المياه النظيفة ، وترتدى الملابس الثقيلة ، فى نفس الوقت الذى لا يجد الإنسان بعض هذه الضروريات .

الرحمة يا ملائكة الرحمة

وملائكة الرحمة ـ وهم الأطباء والحكيمات والممرضات ـ هربت

الرحمة من قلوبهم ، فرفعوا الأسعار ، واهتموا بالمال، ونسوا أن مهنة الطب هى مهنة إنسانية قبل كل شىء ، وأنا أتساءل: هل يستطيع المواطن المصرى أن يدفع لمجرد الكشف عن المرض مبلغ مائة جنيه ؟ وما هو متوسط دخل المواطن المصرى حتى يدفع ذلك ؟ وقد يقول قائل . . يا أخ اذهب إلى طبيب آخر رخيص ، وهل معنى ذلك ألا يستفيد المواطن العادى من خبرة أطبائنا الكبار وعلمائنا ؟

كان نقيب الأطباء قد عقد اجتماعات كثيرة مع الأطباء لدراسة أسعارهم، ولكن يبدو أنه لا فائدة . . الكل مصمم على أن يرفع الأسعار والسلام ، فالغنى يريد أن تزداد ثروته ، فى نفس الوقت الذى يزداد فيه عذاب المواطن العادى . . فهل نطمع فى أن يجتمع الأطباء مرة أخرى لدراسة أسعار الكشف وإتاحة الفرصة للمواطنين الغلابه المقهورين فى الكشف عليهم والتخفيف من الآلام الجسمية والنفسية التى يتحملونها، حتى تصبح مهنة الطب عملاً إنسانيًا حقيقيًا، وحتى يصبحون ملائكة الرحمة فعلاً ؟ . .

إننا نناشد ملائكة الرحمة بألا يتخلوا عن الرحمة . . فهذه رسالتهم ، وهذا دورهم ، وإلا أصبحوا مثل الفئات الأخرى التى تريد أن تسرق وتنهب وتحقق الغنى على حساب المواطنين الفقراء التعساء الذين ليس لهم ذنب فى وضعهم هذا .

عزيزة تدخن « الشيشة »

عزيزة هى إحدى بنات حواء الجميلات ، وهى جارة صديقة تمتاز بشخصيتها المحبوبة وسلوكها القويم وتصرفاتها التى تنم عن أدب وأخلاق ، والتى تجبر الجميع على احترامها . فى الصيف ذهبتُ إلى الإسكندرية بضعة أيام للترويح عن النفس ، وبحثًا عن الهواء والبحر والراحة ، وفى إحدى الأمسيات ذهبت لإحدى الكافتيريات ورأيت عزيزة، ولكننى فى البداية لم أتعرف عليها بسرعة ، فقد جلست وأمامها (شيشة) أو نرجيلة ، فاعتقدت أنها تخص غيرها لكن المفاجأة السيئة أنها كانت تمسك بذراع الشيشة الطويلة وبفمها تشد نفسًا طويلاً عميقًا (وتكركر) ثم تخرج من فمها سمومًا ـ أقصد موجات ـ من الدخان فى الهواء ، كان المشهد غريبًا بالنسبة لى ، وكانت عزيزة تحتضن الشيشة وهى جالسة باسترخاء تام ، تضع ساقًا على ساق ، تمامًا كما كان يفعل «المعلمين» زمان . . عندما رأتنى ابتسمت قائلة . . اتفضل . ! لم تخجل أو ترتبك واعتبرت الموضوع عاديًا، أليست المرأة كالرجل ؟ وأليست حرة فيما تفعل ؟

لم تكن عزيزة وحدها التى تمسك بالشيشة وتدخن فى شراهة ، بل رأيت فتيات صغيرات كثيرات بريئات فى عمر الزهور يفعلن نفس الشىء ، ومجموعات من الفتيات يجلسن مع بعضهن وكلهن يدخن النرجلية . . وزادت دهشتى ! وفى كل مرة أذهب إلى كافتيريا أو فندق كبير أو كازينو معروف تصدمنى هذه الصورة الآن سواء فى القاهرة أو الإسكندرية أو كل أرجاء مصر ، حتى تحولتْ من مجرد سلوك شاذ لإحدى البنات إلى ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع ، والطريف أن الأولاد والشباب تراجعوا عن تدخين الشيشة هذه ، لكن الفتيات أقبلن عليها واهمين أنها الحرية والحضارة والمدينة ، ومنافسة الرجل !

العالم المتحضر كله يتخلص الآن من عادة التدخين بكل أشكالها سواء استخدام السيجارة أو البايب أو (الشيشة) النرجيلة ، بعد أن ثبت علميًا الخطر الشديد والأكيد للتدخين على الصحة بعامة ، وعلى القلب والصدر والشرايين بخاصة ، وأثر هذا على الإنتاج والمستوى الاقتصادى ، أما العالم النامى ، أو النائم فى العسل ، أو المتخلف إذا توخينا الدقة ، فإن نسبة التدخين فيه تزداد وترتفع لانعدام الوعى ، وعدم معرفة السلوك الحضارى الحقيقى ، فالحضارة هى فى الواقع سلوك ، وسلوك واع وفاهم وراق ومتعلم ، يعرف مصلحة الإنسان والسبيل إلى سعادته ورفاهيته .

تأتى الظاهرة الجديدة ، ظاهرة تدخين الفتيات للسجائر و(للشيشة) بالذات لتضيف إلى المشكلة أبعادًا جديدة وتنشر فى المجتمع أمراضًا كثيرة وتعطل نموه ، وتخلق أجيالاً مريضة لأن فتيات اليوم هم أمهات الغد ، والتدخين يؤثر تأثيرًا بالغًا على الجنين ويقدم للمجتمع أطفالاً ضعفاء مهيئين لأمراض كثيرة ومهددين لمستقبل المجتمع فى شبابه القادم .

الحكومة تكافح التدخين فيزداد التدخين

فى كل يوم نسمع عن الندوات والمحاضرات والحملات ضد التدخين ، وكلمات معسولة للمسئولين والوزراء والمربين والإعلاميين ، وكلها كلمات فى الهواء ، أو كما نقول : فض مجالس ، من أجل الهبر والاستفادة من المخصصات والمبالغ المعتمدة لهذه الحملات ، أما العمل الحقيقى والتزام الضمير فى مشكلة خطيرة تهدد مستقبل الأمة ، فهذا ما نحتاج إليه ، إننا يجب أن نتخلص من (الهيصة والزمبليطة) والتصوير التليفزيونى والمنظرة من أجل التفرغ لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة .

وقد أعلن الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة والسكان فى الكلمة التى ألقاها فى ندوة الحملة القومية لمكافحة التدخين ، والتى نظمها جهاز شئون البيئة بالتعاون مع جهاز الشباب والرياضة ، أعلن

أن الجهود المبذولة لمكافحة التدخين كثيرة ومتضافرة بين الجهات الحكومية وغير الحكومية والأفراد، حيث تم إنشاء البرنامج القومى لمكافحة التدخين من خلال (١١) وزارة ، وإطلاق مبادرة (مصريون أصحاء عام ٢٠٢٠) ، وتنظيم حملات قومية لمنع التدخين بين الشباب والأطفال ومنع بيع السجائر لهم والاستعانة بخبير تثقيف صحى للعمل على الوصول إلى عقول الأطفال والشباب ، وهناك خطة مستقبلية لصياغة المادة الإعلامية بشكل جديد ، وبعد ثمانية أشهر ستكون هناك سلسلة من العيادات التى تساعد على التوقف عن التدخين وسيتم إنشاء إدارة لمكافحة التدخين داخل الوزارة .

وبعد هذا التصريح الجميل المطمئن للسيد وزير الصحة قال : إن السيجارة تحتوى على أربعة آلاف مادة كيماوية تم التعرف على ثلاثمائة مادة فقط، ٤٥ منها تسبب السرطان، وهى مشكلة خطيرة جدًا وتم وضعها فى أولويات مهام وزارة الصحة، الغريب والعجب العجاب أن يتحدث وزير الصحة عن الجهود الكثيرة المبذولة لمكافحة التدخين ، واشتراك ١١ وزارة غير الهيئات غير الحكومية فى المكافحة، ثم يقول لنا بعد ذلك ـ ومع كل هذه الجهود ـ إن التدخين سيزداد ، حتى فى مجال الأطفال ، فهل هذه فزورة من فوازير رمضان ، أم أنه ضحك وهزار؟ كيف تكرس الدولة جهودها وتنفق

أموالها من أجل التخلص من التدخين، ثم نقول إنه على الرغم من ذلك سيزداد عدد المدخنين ، بل والأطفال . . ؟

ثم الحملات الكثيرة والمحاضرات والندوات التى لم تشر إلى ظاهرة تدخين البنات (للشيشة) ، مع أنها ظاهرة خطيرة متتشرة فى كل مكان حتى فى ميدان الأزهر والمناطق الشعبية ، فهل لا يعرف السادة المسئولون ما يحدث داخل الوطن ؟ أم أنهم يعتبرون هذه الظاهرة تطوراً عاديًا ؟ .

وأين التليفزيون المحترم الذى يقدم لنا يوميًا ، بل كل ساعة الرقص و(الهجس) والأغانى الهابطة والثقافة السيئة ؟ إن التليفزيون يساعد على انتشار التدخين وإلاّ قل لى ماذا يحدث عندما يأتى البطل فى المسلسلات التليفزيونية السخيفة عندما تكثر مشاكله وتزداد همومه ثم تجده يجلس جلسة هادئة مع كوب من الشاى وسيجارة ، أو (شيشة) ويشد الأنفاس بعمق ثم يخرجها فى الهواء وكأن كل همومه تخرج معها ؟ أليس هذا المشهد العادى والمتكرر فى دراماتنا التليفزيونية الميمونة يضيع كل جهود الوزراء والمسئولين الذين يتعبون أنفسهم ويتحدثون عن أخطار التدخين ؟

وبعيدًا عن المسئولين والإعلاميين أريد أن أسأل عن مسئولية الآباء والأمهات وأولياء الأمور أين هى ؟ وأين دور رجال الدين فى المساجد

والكنائس ؟ والموجهين فى النوادى والمدرسين فى المدارس ؟ إن الوقت ليس فى صالحنا ، وإذا كانت البنات البريئات بدأن يُدخن (الشيشة) على مرأى ومسمع من كل المسئولين على القهاوى وفى الكافتيريات والفنادق، فإن الخطوة الثانية هى الإدمان ، ولأشياء أخرى غير (الشيشة) ، وقل على مجتمعنا السلام ، والسلام عليكم ورحمة الله التى نحتاج إليها هذه الأيام.

الوجودية والملوخية

الوجودية إحدى صيحات القرن العشرين الفلسفية، اهتمت بوجود الإنسان ومشاكله الرئيسية فى الحرية والاختيار والقلق والعدم . . ، أما الملوخية فهى نوع من الخضر يمثل طعامًا شعبيًا محببًا للمصريين والزائرين، ولون الملوخية أخضر ، ولهذا يطلق عليه الأجانب «الشوربة الخضراء . . جرين سوب » ولها فوائد شتى ، وقد تسألنى عزيزى القارىء : هل هناك ارتباط بين فلسفة الوجودية وطعام الملوخية ؟ .

الواقع أن الكاتب لا يختار عنوان مقاله اعتباطًا أو لمجرد الجذب والدهشة ، وإنما لابد أن يكون له معنى وارتباط بما يُكتب فعلاً ، وستعرف ذلك خلال قراءتك . وأبدأ بالوجودية التى شدتنى كثيراً منذ كنت طالبًا بالجامعة أواخر الستينات، فقد كانت صيحة العصر وموضة الشباب، وساعد على انتشارها الأدب الوجودى من روايات

وقصص؛ وزيارة الفيلسوف «جان بول سارتر» مع صديقته «سيمون دى بفوار» لمصر، ولقاؤه مع عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، ومع شباب الجامعة على مسرح جامعة القاهرة .

نشأة الوجودية

الفلسفة الوجودية هى إحدى التيارات الرئيسية الثلاث فى الفلسفة فى القرن العشرين ، ويمثلها « مارتن هيدجر» ، « سارتر» ، « كارل يسبرز» وغيرهم ، أما التياران الآخران فهما : التيار الروحى ويمثله «برجسون» والتيار العلمى ويمثله « وليم جيمس» ، «برتراند رسل» .

الوجودية هى رد فعل عن حالة القلق العام الذى تملّك الإنسان فى كل العالم بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ، والفناء والدمار الذى هدد الجميع، والعبث الذى تسرب إلى النفوس ، من هنا بدأ الفلاسفة الاهتمام بالوجود وبالإنسان الفرد الذى هو تاج هذا الوجود وأفضل شىء فيه ، بدأ الاهتمام بحرية الإنسان وأعماله والاختيار والقلق فى حياته نتيجة للاختيار ، ثم بالموت والعدم الذى يمثل حقيقة ونهاية له .

والفكر الوجودى قديم قدم الإنسان نفسه ، ولعلنا نجد البذور الأولى عند أبى الفلسفة « سقراط» أول من أنزل الفلسفة من السماء

إلى الأرض ، أى جعل البحث يدور حول حياة الإنسان ووجوده ومشاكله بعد أن كان يدور حول الطبيعة وما بعدها ، وأصلها ، كذلك يمكن أن نجد البذور الأولى فى الفكر الوجودى عند كل من «برمنيدس» ثم « أفلوطين»، وفى العصور الوسطى عند «الحلاج» ، «السهروردى» ، « القديس أوغسطين» ثم « بسكال» فى العصر الحديث، غير أن الوجودية عند كل هؤلاء كانت مجرد لمحات وآراء سريعة ظهرت فى ثنايا اتجاهاتهم ولا تؤلف تيارًا واضحًا أو مذهبًا كاملاً ، لهذا نقول أن الفلسفة الوجودية بدأت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وتبلورت واتضحت واكتملت فى النصف الأول من القرن العشرين ، والأب الروحى للوجودية هو «سيرين كيركجورد» الفيلسوف الدانمركى [١٨١٣ ـ ١٨٥٥] الذى قال : « إن الاهتمام بالوجود يجعلنا نفهمه ، وهذا الاهتمام يدور حول هذه الأسئلة : أين أنا ؟ وما معنى العالم ؟ ومن الذى لعب علىّ فوضعنى فيه وتركنى؟ ومن أنا ؟ وكيف دخلت هذا العالم ؟ ولماذا لم يستشيرونى حين أدخلونى فيه ؟ » .

كانت مسألة المسائل عند هذا الفيلسوف أن يجد الحقيقة ، حقيقة نفسه ، والفكرة التى من أجلها يريد أن يحيا ويموت ، هذه الفكرة هى حياته نفسها ، وحتى تتحقق حياته فإنها يجب أن تكون نضالاً

بين الذات والمطلق ، بين الله وبين العالم ، بين الواقع وبين المثال، وهذا النضال سيطبع الوجود بطابعه الأصيل وهو أنه : الاختيار ، التغير، الانفراد ، الذاتية. وهو الهم المتصل. فالذات مهمومة بذاتها باستمرار ، والشعور بالحرية ، وبالتالى بالخطيئة، وبالتناقض .. فالوجود تناقض ، لأنه نقطة التلاقى بين المتناهى واللامتناهى ، بين الزمنى والسرمدى، ولا حقيقة عند الفرد إلا ما يحياه وينفعل به ، وجوهر الفرد الحرية ،والحرية اختيار مطلق ، والاختيار ينطوى على المخاطرة، والمخاطرة تستدعى اليأس ، ولهذا فإن اليأس من العناصر الانفعالية الضرورية فى تكوين الوجود، ولا سبيل للخلاص من اليأس، إذ إن اليأس مصدر الشعور والتفكير ، فمن لا ييأس مما فيه ، لا يطلب شيئًا أبدًا ، أى لا يصبو لشىء ، وللحرية مقتضى انفعالى آخر هو القلق ، والأصل فى القلق هو شعور الفرد فى فعله الحر بالخطيئة الناشئة بالضرورة عن الاختيار لأن الاختيار نبذ لممكنات ، وعن طريق النبذ يتسلل العدم إلى الوجود ، ومن هنا جاءت الصلة بين العدم والحرية والقلق .. هذه هى الخطوة الرئيسية للفلسفة الوجودية كما أسسها الأب الروحى لها ، كيركجورد. وكاتب هذه السطور لا يريد أن يغرق القارئ فى تعريفات وكلمات مبهمة وغير واضحة ، لذلك سأختصر لك أهم مبادئ الفلسفة الوجودية

وفلاسفتها فيما يأتى: تؤمن الفلسفة الوجودية بمبدأ (الوجود سابق على الماهية). بمعنى أن وجود الإنسان أولاً وبعده كل شيء، فإذا أخطأ إنسان فإن فهذا الخطأ يتحمله كاملاً لأنه أخطأ بكامل إرادته ، ولا نستطيع هنا أن نبسط الأمر وأن نتشفع له بأن طبيعة الإنسان أنه ضعيف خطاء ، هذا الكلام لا يوجد فى الوجودية وإنما الإنسان موجود أولاً ولا يوجد ما يسمى طبيعته . وهو مسئول عن كل أعماله، والإنسان هو مجموعة أفعاله . . ، الحرية هى أهم قيمة إنسانية ، ونذكر هنا قول الفيلسوف الوجودى الفرنسى «سارتر» :

« حريتى هى الشيء الوحيد الذى لا أملك الحرية فى التنازل عنه». وعن الحرية ينشأ الاختيار ، والاختيار يجر إلى المسئولية ، ويشرح الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى هذا فى كتابه « دراسات فى الفلسفة الوجودية » فيقول :

« لماذا يضطر المرء إلى الاختيار ؟ . . لأنه لابد أن يفعل ، إذ الفعل هو معنى الوجود ، وبغيره لا يوجد الفرد ، ولكى يفعل لا يستطيع أن يفعل كل الممكنات ، بل لابد أن يختار وجهًا من أوجه الممكن ، فالطالب الحاصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية لا يستطيع أن يختار كل الكليات الجامعية ، والمعاهد العالية والأعمال الحرة فى وقت واحد معًا ، بل عليه أن يقتصر على كلية واحدة ،

وإذن فالاختيار ضرورى لإمكان الفعل ، لكن الاختيار معناه نبذ إمكانيات أخرى موضوعة أمام الإنسان، ولهذا كان الاختيار ينطوى على مخاطرة ، ولهذا أيضًا يبقى نوع من العدم فى داخل نسيج الذات تمثله هذه الإمكانات التى لم يستطع أن يحققها . . » .

ويتأمل الوجوديون فى حياة الإنسان فيرون أن الموت هو النهاية المحتومة الحقيقية ، ومن هنا ربطوا بين الوجود والعدم ، وكله فى النهاية إلى الغرق، كما قال « كارل يسبرز» ، ومع أن الوجودية تتشعب إلى شعب عديدة متباينة إلا أنها فى النهاية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما : الوجودية الحرة والوجودية المقيدة . .

الوجودية الحرة هى التى لا ترتبط بالدين أو المعتقدات الموروثة ويمثلها الألمانى « هيدجر» والإيطالى « أبنيانو» ثم الفرنسى « جان بول سارتر» وزميله « ألبير كامى»، وترى فى الوجود مأساة لا معنى للحياة معها، فهى عبث وعدم ولا معقول ، والجحيم هم الغير ، أى الآخرين لأنهم ينافسون الفرد ويريدون تحقيق ذاتهم على حسابه .

الوجودية المقيدة يمثلها « كارل يسبرز» ، « جبريل مارسل» وهى تؤمن بالله والمحبة والمشاركة والمعنى فى الوجود ، وكلتا النزعتين أو القسمين يعترف بالفيلسوف « سيرين كيركجورد» بوصفه الأب الروحى للوجودية بعامة .

ألبير كامى والوجودية الثائرة اللامعقولة

من أشهر فلاسفة الوجودية الفيلسوف الأديب الفرنسى «ألبير كامى» ولعله من المهم أن نعرض فلسفته الثائرة وحياته التى انتهت بطريقة لا معقولة ، كما كان يؤمن تمامًا ، فقد ولد فى السابع من نوفمبر سنة ١٩١٣ فى مدينة قسنطينة فى الجزائر من أب فرنسى وأم أسبانية ، عاش طفولة فقيرة تعيسة بفضل موت أبيه المبكر ، شعر بالظلم ومرارة التفاوت الاجتماعى بين الطبقات ، واستعلاء الأغنياء ، وعاش طفولته يتأمل ذلك المجتمع الظالم فى الجزائر ، ويتقبل وضعه الاجتماعى المهين فى آخر الصفوف، استرعى ذكاؤه المتميز مدرسه فاستطاع أن يتيح له الفرصة فى الالتحاق بمدرسة (الليسيه) ، وعلى الرغم من كونه رياضيًا إلا أنه أصيب بمرض عضال ظل يصاحبه حتى وفاته ، بدأ حياته العملية بعمل روتينى، فعمل ككاتب فى مديرية الجزائر ، لكنه كان يكتب الأدب أيضًا ، واهتم بتأليف فرقة مسرحية، وشغله المسرح كثيرًا تمثيلاً وقراءة ، ووجد فى الكاتب الروسى الكبير « دوستوفيسكى» ضالته ، فانكب على قراءة أعماله بشغف ، واستهوت الصحافة « ألبير كامى» فعمل فى جريدة الجزائر الجمهورية، وكان أول تحقيق كتبه عن بؤس العمال القبائليين ، أوضح فيه المأساة الإنسانية التى يعيشها هؤلاء العمال المسلمين الذين يعملون

فى خدمة الرأسماليين المستعمرين فى الجزائر ، كذلك نبه فرنسا إلى الجريمة الكبرى التى يرتكبها الفرنسيون الطغاة فى الجزائر ، ويعتبر «كامى» من أوائل الفرنسيين الذين دافعوا عن القضية الجزائرية . انتقل بعد ذلك للعمل فى « باريس» سكرتيراً لتحرير جريدة « باريس المسائية» ، وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ أراد الاشتراك فى المعارك، لكن مرضه منعه من ذلك، وفى سنة ١٩٤٠ أصدر أول إنتاجه الأدبى ؛ قصة « الغريب » ، ولم يكتف بالكتابة فى الصحف، وإنما انضم إلى حركة المقاومة ضد الاحتلال الألمانى ، وعاش مستتراً فى باريس ، اهتم بطبع نشرة للكفاح أصدرها سراً ، وحولها بعد ذلك إلى صحيفة يومية بنفس الاسم ، وأصبح رئيساً لتحريرها سنة ١٩٤٤ ، كما أشرك « سارتر» فى تحريرها ، وكان لهذه الصحيفة أثر كبير فى الشباب .

اتجه « كامى» إلى الكتابة الأدبية ، وكرس جهده عن طريق كتابة المقالات والروايات والمسرحيات فى الدعوة إلى فلسفته الجديدة فى الوجود ، والوقوف ضد الظلم والاستبداد واستعمار بلاده ـ فرنسا ـ لدول شمال إفريقية ، وطالب بحرية الجزائر وتونس والمغرب ، وكانت صيحته عالية من أجل تحرير الإنسان فى كل مكان ، وحصل على جائزة نوبل للآداب فى سنة ١٩٥٧ ، وكان أصغر من حصل عليها سنًا .

أما فلسفة « كامى» فتتلخص فى كلمتين : اللامعقول ، والثورة ، فهو يرى أن حياة الإنسان لا معقولة وعبث فى عبث ، وشبه الإنسان فى حياته ببطل أسطورة « سيسوفوس» اليونانية ، فقد أخطأ هذا البطل فى حق الآلهة ، فحكمت عليه بأن يستمر فى إصعاد صخرة ضخمة من أسفل إلى قمة الجبل ، وعندما تصل إلى القمة تسقط مرة أخرى ليصعدها «سيسوفوس» هكذا وإلى الأبد ، وليس أصعب على المرء من أن يعمل عملاً لا فائدة فيه أو أن يدور فى حلقة مفرغة .

الإنسان فى حياته مثل « سيسوفوس» هذا يعمل ويجهد ويأكل ويشرب ويصارع الحياة يوميًا فى حلقة لا تنتهى إلا بالموت ، هذه النهاية اللامعقولة . . ونفس هذا المعنى يقوله صديق « كامى» ورفيقه على درب فلسفته «سارتر» فى إحدى مسرحياته إذ يقول :

« الحياة حماسة لا فائدة فيها » .

أما الشق الثانى لفلسفة «كامى» فهو ضرورة الثورة على الحياة ، إذ يقول : « عش ثائرًا على الحياة ، ومت ثائرًا على الموت ! »، والثورة هى ثورة من أجل أن يحصل كل إنسان على حقه ، بل وعلى حق الإنسانية كلها ، أى أن يدافع عن حقوق الآخرين ، وثورة « كامى» هى ثورة على كل الثورات الإنسانية السابقة التى بدأت تدافع عن الإنسان ثم تنكرت له فى النهاية .

ومن عجب أن يموت « كامى » فيلسوف اللامعقول والعبث بطريقة لا معقولة وهو فى شرخ الشباب؛ إذ مات فى حادث سيارة سنة ١٩٦٠ عن عمر يناهز ٤٧ عامًا .

أنت تسألنى عزيزى القارئ الآن عن الذى ربط هذه الفلسفة الوجودية بطعام الملوخية ؟

أقول لك الصدق ، ففى حين كنت أكتب لك مقالاً عن الفلسفة الوجودية ومعناها كإحدى فلسفات القرن العشرين ، إذا بزوجتى تفتح باب حجرة مكتبى بالمنزل فجأة وبطريقة بوليسية لتقول لى مبتسمة :

سأطهو لك غدًا ملوخية بالفراخ ، تريد شيئا آخر ؟ كنت مستغرقًا تمامًا فى المراجع عن الوجودية بين أنيس منصور والدكتور زكريا إبراهيم ، وعباس العقاد ، وجان بول سارتر ، والدكتور عبد الرحمن بدوى ، وألبير كامى ، وكارل يسبرز وأونا مونو وغيرهم ، وأوقفت زوجتى تفكيرى تمامًا ، وشتتت معلوماتى ، وضيعت ملاحظاتى ، ومع ذلك تمالكت نفسى وقلت لها : هل هذا معقول أن تقطعى حبل تفكيرى وتوقفى تأملاتى من أجل الملوخية ؟ يا عزيزتى أنا أتناول أى طعام كما تعرفين ، وليس عندى مانع من الملوخية ، وهدأت أعصابى برهة وشعرت أن زوجتى سيدة فاضلة تقوم بواجبها دائمًا ، وهى

تؤمن ككل السيدات أن الطريق لقلب الرجل معدته ، من هنا فهى تهتم بطعامى وشرابى على أحسن وجه ، ولا شك أن الملوخية طعام شعبى محبب ، وهى تصنع دائمًا بالفراخ أو الأرانب أو مرق الخروف، وأبناء الشواطئ يطهونها بالجمبرى ، ولا توجد أنواع منها فهى ملوخية خضراء ، ومع ذلك فالباعة ينادون عليها « يا خضرا يا ملوخية» مع أنه لا توجد ملوخية حمراء أو صفراء ، واستطاعت زوجتى بدخولها مكتبى أن تدفعنى لاختيار هذا العنوان « الوجودية والملوخية» . . أو ليست الملوخية طعامًا ، والطعام جزء مهم فى وجود الإنسان !؟

أرجوك لا تقبّلنى ولا تعانقنى

القبلة تعبير جميل عن مشاعرنا الرقيقة والحارة ، وهى عادة متكررة يومية فى حياتنا المصرية ، وفى الشرق بعامة ، ما أن تجد صديقًا أو زميلاً حتى تنزل فيه أحضانًا وقبلات كالمطر ، أما النساء فحياتهن أصبحت أحضانًا وقبلات .

القبلة مهمة فى حياة كل الناس فى العالم ، ولكن الجميع يعرفون متى وأين ومع من يمكن إجراء عملية التقبيل هذه، أما نحن كالعادة نغالى فى كل شىء ، وبدل البوسة اثنين وثلاث وعشر بوسات ، وبدل الحضن أحضان وأحضان، ومع أى إنسان نعرفه ، وأحيانًا لا نعرفه !

نحن نتغنى بالقبلة وبحلاوتها وأشواقنا الملتهبة إليها ، وتمتعنا بها ، فما أجمل القبلة على لسان أم كلثوم فى أغنيتها الشهيرة «القبلة القبلة» وبصوت محمد عبد الوهاب « بلاش تبوسنى فى عنيه» وفى التراث نتغنى بأغنية : « على خده يا ناس ١٠٠ وردة . . ومنين ينباس ياخى

دهده »، ومن منا ينسى رائعة فنان الشعب سيد درويش: «شفتى بتأكلنى أنا ف عرضك خليها تسلم على خدك» وهى ممنوعةَ من الإذاعة، ولست أدرى سبب ذلك فهل البوس ممنوع ؟ أم أن هناك اختراعًا آخر بدلاً منه هذه الأيام ؟! وهناك أغنيات كثيرة عن القبلة والبوسة لصباح ووردة ومحمد العزبى، وغيرهم .

يقول الشاعر الكبير الراحل مصطفى عبد الرحمن فى كتاب «القبلة» : « همسة الروح للروح . . ورسول القلب للقلب » و«كلمة الخلود تنطق بها الشفاه . . وهى تردد لحن الحياة، هى هتاف ، وهى نجوى . . ، هى نشيد الغرام ، وهى دمع وفرح وابتسام، هى عبادة، وهى صلاة . . وهى سر من أسرار الإله» .

العلاقة بين القبلة والقلب

القبلة أنواع وأشكال ودرجات، وأسأل نفسى هل هناك علاقة بين القبلة والقلب ؟ فكلمة القلبة تشتمل حروفها على القلب ، ولا شك أن القبلة لها تأثير على القلب، وإذا كنا نقول أن القلب هو الذى يحب ويعشق ، فإن القبلة هى التعبير عن هذا الحب والعشق ، وقد أجرى العلامة الأمريكى (أرفن سترنجت) فى جامعة (سان فرانسسكو) أبحاثًا على أثر القبلة على القلب ، وتوصل إلى نتيجة تقول : إن قبلة واحدة يتبادلها رجل وامرأة تقصر عمرهما بمعدل

ثلاث دقائق إلى خمس دقائق تبعًا لما تلهبه هذه القبلة من عاطفة، إذ ترفع هذه القبلة النبض فى جسم الإنسان من ٧٢ إلى ٩٥ نبضة فى الدقيقة الواحدة ، ويؤكد العالم الأمريكى أن قلب المرأة على الرغم من صغر حجمه فإن سرعة خفقانه تفوق سرعة خفقان قلوب الرجال، ومع ذلك فالطبيعة قد حَبَت المرأة وكونتها تكوينًا يحميها من أخطار القبلات الحارة . . ، فخفقات قلب المرأة لا تزيد على ٥ إلى ١٠ خفقات عند تبادل هذه القبلات العاطفية . . ، وقد انتشرت أجهزة قياس حرارة قبلات المحبين فى بعض مدن الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استعملت طريقة أن يمسك الشخص الذى يرغب اختباره بسلك موصل بأحد قطبى بطارية كهربية أو يلف على ذراعه جهازًا قريب الشبه بجهاز قياس ضغط الدم ، فإذا ما التصقت شفتاه بشفتى الشخص الآخر تأثر الجهاز وحدثت ذبذبات فى إبرته مسجلة على ورقة خاصة مقدار التأثر من كل ناحية ، ومن أطرف النتائج التى سجلتها هذه الاختبارات النتيجة التالية :

« ١٠٠ درجة للقبلة الذرية ـ ٦٠ درجة للقبلة الانفعالية ـ ٤٠ درجة للقبلة الخجول ـ ٣٠ درجة للقبلة بين الزوجين فى شهر العسل ـ صفر درجة للقبلة بين الزوجين بعد سنة واحدة من الزواج ! » .

لا شك أن هذه أشهر أنواع القبل بين المحبين والعشاق ، القبلة

الساخنة التى ترفع ضغط الإنسان وتزيد ضربات قلبه ، وهى بين الرجل والمرأة ، وإن كانت المرأة أقل تأثرًا بها كما يقول العلم .

قُبَل الصداقة والاحترام

هناك القبلة على الجبين بين الأصدقاء والآباء والأبناء، وتعنى الإجلال والاحترام ، وهى مشهورة فى الدول العربية . والقبلة على الخد بين الأصدقاء وأفراد العائلة تعنى الحب والاعتزاز ، وهى المشهورة فى مصر ، والتى نعانى منها كل يوم حتى أصبحت عادة سيئة - فى رأيى - فليس من المعقول أن يقبلنى زميلى فى العمل كل يوم بسبب ودون سبب ، وأن يطبع على خدى بوسة عرقانة ملزقة فى عز الحر ! العجيب أن هناك بعض الرجال يقبلون بعضهم كلما شاهد أحدهم الآخر وتقترب شفاههم من بعضها، وهم يفعلون ذلك بنية صافية ، مع أن هذا يعتبر شذوذًا فى الغرب ، وهو فى الواقع عمل ممل يضيق به أى إنسان سوى الشخصية ، ولكنها عادة سخيفة سيئة (بايخة) ، والقبلة فى حد ذاتها بين الرجال غير مقبولة وحبذا لو امتنعنا عنها وتخلصنا منها ، فهى شكلاً غير مقبولة ، وموضوعًا تنقل العدوى للأمراض الجلدية ، وأخطر من ذلك تنقل عدوى الوباء الكبدى أوالإيدز لو أن الذين يغرقون فى بعضهم بوس كانوا مجروحين لأى سبب ما . . ، يعجبنى العرب فى أنهم يقبلون الجبين

أو الكتف فقط ، كذلك تعجبنى تحيات اليابانيين والهنود ومعظم شعوب آسيا فى ضم الكفين ثم الانحناءة البسيطة أمام بعضهم ، تحية رقيقة بسيطة نظيفة خالية من الأوجاع والأمراض والأحضان الحارة فى عز الحر والقبلات التى لا داعى لها ، وهى تحية متحضرة أيضًا !

من أنواع القبلة أيضًا القبلة على اليد، وهى للاحترام والتعظيم وتذكرنا بالأجيال القديمة كيف كانت تحترم آباءها وأمهاتها وكل كبير وعظيم ، هناك القبلة على القدم وهى تعنى الخضوع والولاء والإذلال أحيانًا وكانت تستخدم زمن العبيد والأباطرة فى العصور القديمة والوسطى ، ومن أشهر الأباطرة الذين فعلوا ذلك ، الإمبراطور «كاليجولا» الذى حكم روما [٣٧ : ٤١ م] فقد أصدر أمرًا لأعضاء مجلس الشيوخ بتقبيل قدميه، ثم شكره بعد ذلك لأنه سمح لهم بذلك ، ومازالت هذه القبلة اللا آدمية فى بعض الإمبراطوريات والممالك الموجودة فى عالمنا الحديث مع أننا على مشارف القرن الحادى والعشرين .

وبالمناسبة فإن حالة الإغراق فى البوس التى أصابت المصريين هذه الأيام ظاهرة غريبة على مجتمعنا المصرى، فنحن أبناء الفراعنة أصحاب أول حضارة إنسانية ، وكان أجدادنا يحيون بعضهم بمجرد

الإشارة، لا باليد ولا بالأحضان والإغراق فى البوس ، وهى طريقة تتفق مع حضارتهم . .

الذى يحير العبد ‹ ويضايقه ويضخم (فشته) أن حالة الغرق والاستغراق فى البوس التى يعانى منها المصريون هذه الأيام لا تعبر عن الحب والحنان والتعاطف دائمًا ، وإنما بعضها لمجرد النفاق والتظاهر ، فبعض الذين يفعلون ذلك يذمون فى بعضهم بمجرد الافتراق ! وهذا هو السبب فى دعوة كاتب هذه السطور إلى ضرورة التخلص من هذه العادة السيئة الغير صحية .

من الطبيعى أن يتساءل القراء الأعزاء عن أول قبلة متى وأين تمت وبين من ؟

يجيب على هذا السؤال الشاعر مصطفى عبد الرحمن فى الصفحة رقم ٤٨ فى كتابه عن القبلة قال :

« تروى الأساطير أن حواء حينما كانت تطوف بين أعناب جنات عدن وثمراتها استرعى انتباهها شجرة من شجرات الكرز نضجت عليها أول ثمرة من ثمارها فاقتطفتها . وحين ذاقت طعمها سكرت بحلاوتها . . ثم ما لبثت أن رأت آدم مقبلاً فراحت تقص عليه قصة ذلك الثمر الجديد الذى كانت آثاره لا تزال على شفتيها . . ولما

أعياها البحث عن إيجاد كرزة أخرى تقدمها له . . منحته شفتيها الحمراوين اللتين كانتا لا يزال بهما طعم الكرز . . وكان التقاء الشفتين فى أول قبلة من قبل الحياة » .

قبلة الحب الأولى

القبلة الأولى فى حياة كل إنسان لها حلاوتها وذكرياتها ، فما بالك بالشعراء الذين يتغنون دائمًا بها . . ، عن القبلة الأولى يقول نزار قبانى شاعر الحب، أمير الشعر العربى فى النصف الثانى من القرن العشرين :

« عامان مرَّا عليها يا مقبلتى
وعطرُها لم يَزَلْ يجرى على شَفَتى
كأنها الآنَ لم تذْهَب حلاوتُها
ولا يزالُ شذاهَا ملءَ صومعتى»

أما شاعر الأطلال إبراهيم ناجى فيقول عن القبلة الأولى :

« لم أنس أولَ قبلة أخذتْ بها شفَتاىَ عهْدَ الحبِّ من شفَتَيك
مازلتُ بين فمِى أحس لها شذى أتُرَى لها أثَر يُحَس لديكَ»

إنها القبلة الحقيقية بين آدم وحواء ، بين الرجل والمرأة ، القبلة

الحلوة الطعمة الجميلة الأبدية الخالدة ، التى من حق كل البشر أن يتمتعوا بها ويستغرقوا فيها، فهى منحة الله للبشر . . أما القبلات الكثيرات بين الرجال فى كل مجال فليس لها داع ، وليس لها أهمية وحبذا لو امتنعنا عنها وألغيناها من حياتنا الاجتماعية ، فليس من المعقول أن يعطى الإنسان قبلاته الحارة لأهل الحارة ، ثم بعد ذلك لكل من يقابله من صديق أو زميل أو جار .

ارحمونا من الطرش المستعجل

الشارع المصرى أصبح مسرحًا كبيرًا ، أو ملهى ليليًا نهاريًا ، أو أوبرا للموسيقى المزعجة، الناس تتحدث بصوت مرتفع حتى تسمع بعضها ، فقد أصابها الطرش الجزئى من كثرة الأصوات وتباينها وشدة ارتفاعها ، وإذا كان هذا هو حال الشارع المصرى بعامة ، فإن شارع القاهرة العاصمة الساحرة أصبح أكثر إزعاجًا وانزعاجًا بحكم كثرة من فيه ، الناس صوتها مرتفع وأصبح عاديًا أن تراهم يتفاهمون بالزعيق وكأنهم يتشاجرون ، السيارات الكبيرة والصغيرة تستخدم الكلاكسات عمال على بطال ، بسبب ودون سبب ، سيارات النقل العام تطلق أصواتها بطريقة مستمرة ، سألت أحد السائقين عن سبب ذلك . . ، أجاب : أنا لا أستطيع قيادة السيارات دون استخدام (الكلاكس) باستمرار ، تعودت على هذا (. . ها . . ها . . ها)! السيارات الملاكى الصغيرة والأجرة لا تكتفى بصوت الكلاكس العادى، وإنما تستخدم أحدث الكلاكسات والسارينات الموسيقية، بالإضافة إلى

مسجلات الصوت وسماع أحدث الأغنيات العربية والأجنبية ، وهم يمتازون بالكرم وحب الآخرين، ولذلك يرفعون أصوات مسجلاتهم حتى يتمتع الجميع، وكل من فى الشارع بهذه الحفلات الغنائية .

سيارات الإسعاف والشرطة والمطافئ تمرق مستخدمة أصواتها المميزة لتأدية مهامها وهذه مسئوليتها ، رجال المرور البواسل مع كل منهم صفارة يطلقها على آخرها عندما تفتح أو تغلق الإشارة ، وأصبحنا لا نعرف هدف هذه الصفارة من كثرة استخدامها، وكاتب هذه السطور لم يجد فى دول العالم مثل هذه الصفارة المزعجة التى تعطل المرور وتزعج المارة وتضيف إلى التلوث السمعى الكثير !

الباعة المتجولون والإعلان بالميكرفون

استحدث بائعو (الروبابيكيا) طريقة استخدام الميكرفون فى الإعلان عن وجودهم، وهم يوقظونك فى ساعة القيلولة وأنت تحاول أن تستريح من عملك ومما فعله معك الشارع ليعلن أن كل حاجة قديمة للبيع ، بطارية السيارات بخمسة جنيهات، والتحف القديمة والمقاعد وكل شىء يمكن شراؤه . . ثم ما هو إلا جزء من الساعة ويأتى بائع آخر ليعلن فى ميكروفونه عن بضاعته . . (العسل يا عسل . . العسل الأبيض والعسل الأسود . . العسل يا عسل . . »، ثم لحظات ويقتحم أذنك صوت آخر أيضًا بالميكرفون يقول : « أسِن السكينة

والمقص . . أسن السكينة والمقص » ، هذا بالإضافة إلى أصوات الدراجات والموتوَسيكلات ، ويعضها يستخدم المسجلات أيضًا والمذياع !

ظاهرة استخدام الباعة الجائلين للميكروفون ظاهرة جديدة ، وقد جربوها فى أعظم شوارع القاهرة ولم يمنعهم أحد ، مما ساعد فى انتشارها ، حتى باعة الخضر والفاكهة يستخدم بعضهم الميكرفون للإعلان عن بضاعته وحتى يُسمع صوته وسط هذا الإزعاج الشديد والضجيج غير المحتمل . . . ، بعض الشباب يهوى الغناء والتصفير فتجد مجموعات . . مجموعات تمشى تصفر . . وتصفر بصوت مرتفع لتزيد التلوث السمعى دون ذوق أو احترام ، وتنظر لهم ليهدأوا فيحلقوا فى وجهك وكأنهم يريدون قتلك لأنك تتعدى على حرياتهم ، وهم لا يعرفون أن حرية أى إنسان تنتهى عندما تبدأ حرية غيره ، وأن هناك فرقًا كبيرًا بين الحرية والفوضى .

الأفراح والمآتم أصمت شوارع القاهرة

نتيجة لهذه الأصوات العديدة والعنيفة التى تملأ سماء القاهرة أصيبت العاصمة بمرض التلوث السمعى . وتقول الإحصاءات أن القاهرة من العشر عواصم الأولى فى العالم التى تعانى من هذا التلوث السمعى ، وكنا نتمنى أن تقول هذه الإحصاءات : إن القاهرة من العشر عواصم الأولى فى العالم فى النظافة والجمال والنظام !

وإذا أضفت إلى هذه السيمفونية المزعجة ما يحدث فى الأفراح والليالى الملاح والمآتم فى شوارع القاهرة فإنك ستعرف السبب الرئيسى لهذه الإحصائية العالمية .

يحدث كل هذا فى شوارع القاهرة الساحرة، وهناك قانون يمنع الضجيج وارتفاع الأصوات ، ويحدث كل هذا، ونحن نملك وزارة للبيئة هدفها المحافظة على البيئة وصحة الناس ، وحقيقة أننا نعرف أن القانون دائمًا فى مصر فى أجازة دون أجر ، وأنه يعمل فى الخارج وسيعود فى يوم ما ، ولكن ماذا عن وزارة البيئة وهذا التلوث السمعى الذى يهدد الناس بالطرش المستعجل ؟

إن كل من هب ودب يستطيع أن يعمل أى شىء فى شوارع القاهرة ولا يتعرض له أحد ، فإذا جاء أحدهم بطبلة وزمارة وعربة كارو وميكروفون وأخذ يطبل ويزمر ويغنى فى الميكرفون فى شوارع القاهرة فإن أحدًا لن يمنعه ! أما إذا أحضر معه قردًا وأخذ يرقصه على الطبلة والزمارة فإن الناس ستلتف وتتجمع حوله ، وربما تصفق له ! !

الشارع المصرى أصبح فعلاً مسرحًا كبيراً وملهى ليليًا نهاريًا ، وأنا أتساءل : من يملك الشارع المصرى ؟ من الذى يمكن أن يسيطر عليه بعد أن أصبح (سداحًا مداحًا) لكل من هب ودب يستخدم الميكرفون ويزعق ويصوت ويعلن عن أى شىء ويستخدم آلات التنبيه دون

سبب، ويقيم سرادقات الأفراح والأتراح ويسهر حتى الصباح مع الفرق الموسيقية والأصوات المزعجة النكرة دون ضابط أو رابط؟

إن العلماء يحذرون من الأصوات المرتفعة ومن الضجيج حتى لا يصاب الجهاز العصبى للأذن بالضعف أو التدمير .

أيها السادة ارحمونا من الطرش الكامل المستعجل يرحمكم الله من كل سوء . .

أيها الساة احذروا التوقيع

قبل أن يُفتح الستار

بينما كنت أجلس فى بيتى ذات مساء أبحث عن السكينة وأسعد بتصفح كتاب جديد، إذا بجرس الباب يدق، وجاء ابنى مهللاً (بابا بابا) كسبنا خمسين ألف جنيه ! قلت كيف ؟ وخرجت من حجرتى لأجد شابًا وسيمًا وجيهًا يقف على باب الشقة ليقول لى : مبروك يا أستاذ . . ، مبروك على إيه ؟ تسمح لى أولاً أن أجلس معك خمس دقائق لأشرح لك الموضوع . . ، ورحبت بالرجل ودخل بيتى وجلس بيننا جميعًا ليقول لنا أن شركته اختارتنا نحن بالذات لتقدم لنا هدية ومكسب خمسين ألف جنيه وأننا يجب أن نذهب غدًا مساءً إلى مقر الشركة بمدينة نصر حتى نحصل على الهدية، وكذلك نحضر حفل العشاء الفخم الذى سيكون على شكل بوفيه مفتوح ، ومن الطبيعى أن يهلل نجلى الشاب ويفرح لهذا الخبر وكذلك زوجتى . . ، ثم قال الضيف : إذا وافقتم على الحضور فأنا أطلب منكم مبلغ عشرة

جنيهات فقط حتى نتأكد من حضوركم ونحجز لكم منضدة باسمكم . . ، قلت : بسيطة ، وأخرجت من جيبى عشرة جنيهات وأعطانى وصلاً بها حتى أذهب به للحفل الساهر غداً .

تركنى الشاب وأنا فى حيرة ما هذا الذى يحدث ؟ وماذا بعد الحفل ؟ المهم قلت لنفسى: لا تسبق الأحداث ، و (خليك مع الكذاب لغاية الباب) .

الشاب الطيب فرح بالسفر إلى الخارج

فى اليوم التالى ذهبنا جميعًا أنا وزوجتى وابنى مساءً إلى حيث مقر الشركة ، وبعد صعوبات قليلة استطعنا الوصول وصعدنا إلى الدور الثالث، واستقبلتنا فتاة جميلة رشيقة أخذت منا الوصل وفى الحال أعطتنى العشرة جنيهات . . . ـ منتهى الأمانة والصدق ـ !! ثم جاءت فتاة أخرى لا تقل عنها جمالاً وأناقة . (أستاذ اتفضل) وأخذتنا إلى صالة كبيرة أشبه بكافتيريا ، ثم أخذت تمطرنا بأسئلة غريبة شخصية :

ماذا تعمل ؟ وما هو دخلك ؟ وهل عندك فلوس فى البنك ؟ وهل تعمل زوجتك؟ وما هو دخلها ؟ وشعرت الفتاة أن أسئلتها سخيفة مستفزة فحاولت التخفيف والضحك قائلة : أنا لست مأمورة ضرائب ، أنا أريد أن أخدمكم وأقدم لكم أسبوعًا فى أجمل مصايف

مصر وأوربا، وبالمناسبة أين تقضون أجازة الصيف، فى مصر أو فى الخارج ؟ وكم تكلفكم هذه الأجازة ؟ قلت لها : أرجو أن تدخلى فى الموضوع مباشرة دون مقدمات حتى أعرف ماذا تريدين ؟ قالت : لماذا العجلة ؟ إن لى ثلاث ساعات معك ! قلت لها : ليس عندى هذا الوقت لأقضيه معك ، على الأكثر نصف ساعة أخرى . . ، ثم قلت : أريد أن أتناول فنجانًا من القهوة ، وجاء النادل وطلبت القهوة وطلب ابنى شيئًا مثلجًا فلم يجد وكذلك زوجتى . . البوفيه ليس فيه إلا شايًا وقهوة . . ، وعندما شربت القهوة لم تعجبنى وشعرت أنها قهوة بغير بن ! أو قل بن على الريحة . . ما علينا . . أخذت الفتاة تذكر لنا وتشرح فى تفهم كامل لعملها مزايا شراء الوقت للسياحة وأننى أستطيع أن أبيع وقتى هذا فى أى وقت ، وأستطيع أيضًا أن (أحوّشه) سنة أو اثنتين وأستطيع أيضًا أن أحصل عليه فى سويسرا أو أمريكا أو إيطاليا أو أى مصيف عالمى كما أشاء . . ، والعملية ليست صعبة . . مجرد اشتراك شهرى يتفق ودخلك ولن نثقل عليك . . نحن نريد خدمتك والترويح عنك وعن أسرتك . . ، ولاحظت الفتاة اهتمام ابنى الشاب الطيب بحديثها وفرحته بالسفر إلى الخارج وقبوله لإغراءاتها، فحاولت أن تركز معه حتى كسبته فى صفها تمامًا . . ، وبعد الشرح الوافى الكافى المستفيض سألتنى الفتاة . . هل أنت مقتنع

أم لا ؟ قلت لها : مقتنع . . حينئذ أشارت بغمزة من عينها الجميلة إلى الباب فجاء شاب على نفس المستوى من الأناقة والوجاهة يرتدى زيًا رسميًا، ورحب بنا وقدمته إلينا . . ، وقال : إزى الحال هل اقتنعت ؟ قلت : نعم . . إذن أنت ستشترك معنا . . بإذن الله . .

مادمت قد قررت الاشتراك فإنك ستوقع على العقد الآن!

وتعجبت من كلمة الآن هذه ! وقلت له ما معنى الآن ؟ قال أنت مقتنع وأنت رجل عاقل كامل الأهلية، ولهذا ستوقع الآن على العقد . . ، ونحن نعرف أنك حضرت دون استعداد لدفع مصاريف العقد والاشتراك، ولذلك سنسهل عليك المهمة فتدفع ما تريد والباقى توقع على شيكات به لنا . . ، والمشروع يمكن أن تشترك فيه فتدفع ٢٠٠ جنيه شهريًا مع مبلغ عشرة آلاف جنيه، أو على الأقل ستة آلاف جنيه مقدمًا، وهذه ستوقع بها شيكات الآن . . !

شعرت أننى فى مصيدة . . الفتاة تلاحقنى ثم الشاب زميلها ثم حضر شاب ثالث لنفس المهمة . . كنت باردًا هادئًا جدًا وقررت أننى مقتنع لكنى لن أوقع الآن . . ربما غدًا أو بعد غد . . قالت الفتاة : لو خرجت من هنا فلن تأتى مرة ثانية . . تعجبت أنها تعرف أن أى إنسان يفكر فى العرض بشىء من العقل لن يوقع . . إنها تعرف أنها

تمارس عملية نصب ! وعندما فقد الجميع الأمل فى توقيعى ، وأننى لن أكون ضحية لهم . . ارتفع صوت الفتاة قائلة :

لقد تكلفنا كثيراً حتى ندعوك إلى هنا . . ذهب لك مندوب من عندنا ، وأنا أجلس معك وزملائى منذ مدة فى هذا المكان الجميل المعد خصيصًا لهذا . . قلت لها مبتسمًا : يا سيدتى أنا لم أطلب منك أن تدعونى إلى هذا المكان الجميل . . ، أنت التى أخذت وضيعت وقتى فى كلام وعرض أنا لا أريده !وأنا أعلم أن هذا المشروع متبع فى كل بلاد العالم ولكنه غير جاد فى مصر ، فبعض أصدقائى المشتركين لا يجدون دائمًا فندقًا فى الوقت الذى يريدونه ، بل فى الأوقات غير المطلوبة ، فيقضون المصيف فى سبتمبر مثلاً أو مايو ، المهم المشروع فقد مصداقيته .

حاول الثلاثة أكثر من مرة تشجيعى على التوقيع والمشاركة وأنا أرفض . . ، قال لى أحدهم : أنت رجل شجاع كيف لا تستطيع التوقيع وأنت كاتب تعرف معنى الكلمة ؟ وقالت الفتاة : لم أتوقع منك وأنت الشخصية القوية أن تحتاج إلى وقت أو يوم للتوقيع !

وأخيراً تركت الثلاثة الذين كانوا يريدون أن يلعبوا معى لعبة الثلاث ورقات وينصبوا علىّ لأوقع على شيكات دون أن أخذ شيئًا، ثم تكون النتيجة الدفع أو السجن . . وخرجت من المبنى الجميل

الذى تحول إلى سجن وماخور بالنسبة لى ، ولم يكن هناك عشاء أو بوفيه مفتوح ، أو حتى مغلق . . ، وأعتقد أنهم كسروا قلة ورائى فأنا زبون ومخرب غير مفيد لهم ، لم أشرب المقلب أو أتناول الطُّعم .

أكتب هذه الحكاية حتى يحذر الجميع من التوقيع ، وعلينا أن نشرح لأبنائنا وشبابنا أهمية عدم التوقيع على أى ورقة دون فحصها ومعرفة أهدافها، حتى لا نقع فريسة للمحتالين الجدد ، أصحاب الياقات البيضاء النصابين الذين أفرزهم عصر الانفتاح ، وكم باسم الانفتاح نضحك ونحتال ونسرق هذا الشعب الطيب . . شعب مصر .

عفوًا معالى الوزير

عفوًا معالى الوزير ، يا أى وزير ، ترددت كثيرًا فى أن أكتب إليكم أيها الوزراء الأجلاء الأعزاء العظماء الكرماء ، لكن شقاوة قلمى أبت السكوت أو السكون ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، وأنا لست شيطانًا والحمد لله، كما أننى لست أخرسَ، بل أنا (غلباوى) وكثير الكلام، فقط فى الحق . . ، ولأننا نعيش الديمقراطية والحرية فقد وجدت الفرصة لأعاتب الناس حتى الوزراء الذين نعتز بهم ونحبهم وندعو لهم دائمًا بالتوفيق .

حراسة السادة الوزراء

أما عن موضوع العتاب فهو المشكلة اليومية التى تقابل كل مصرى يمشى فى شوارع القاهرة الكبرى ، أو يقود سيارته فى أمان الله . . ، فجأة تصرخ الصفافير وتعوى السرينات ويتكهرب الشارع ، وتجد نفسك وسيارتك التى تقودها محاطة بسيارات حراسة السادة الوزراء ، وأسمع صوت يهددنى . . قف . . قف . . حاول أن تركن، لا

تتحرك ، أنظر إلى مصدر الصوت فأجد رجالاً أشداء يحملون بنادقَ ومسدسات ، يحلقون فى وجهى وأعينهم تكاد تخرج من وجوههم ، منظر مخيف حقًا ، فى بداية الأمر ظننت أنهم مجموعة من الإرهابيين يريدون بث الذعر ونشره فى الشارع ، أو اختطافى ، وبعد برهة من الوقت والتفكير توصلت إلى أنهم لا يمكن أن يفكروا فى اختطافى ، فأنا رجل غلبان شقيان ، أبسط بكثير من أن يحاول أحد فى اختطافى، لأنه لن يستفيد شيئًا ، عرفت بعد ذلك الحقيقة المرة ، وهى أن هؤلاء حراس السادة الوزراء ، وأن معالى الوزير - أى وزير - لابد أن يمشى ويسير فى هذا الموكب الفخم الضخم ، دراجات بخارية تخترق سرعة الصوت ، وعربات يجلس فيها الحراس على مقاعد خاصة وجوههم تنظر إلى جوانب الشارع شمالاً ويمينًا لمسحه خوفًا من أن يحاول أحد - لا سمح الله - التعرض لحياة معالى الوزير المعظم ، الطريف أن معظم وجوه السادة الوزراء غير معروفة للناس ، يعنى لو مشى هؤلاء الوزراء فى الشارع على أقدامهم الكريمة فلن يعرفهم أحد ، وهكذا ينتفى الهدف من وجود هذا الموكب العظيم والركب الرائع ، ومع ذلك فموكب معالى الوزير يوميًا صباحًا وظهراً وعصراً ومساءً يخترق شوارع القاهرة مثيراً للذعر والخوف ، ومساعداً على زيادة (هيصة الشوارع) ، التى تعانى من «الهيصة» الطبيعية ، ومن التلوث السمعى والبيئى والأخلاقى ، وغير ذلك .

ومع أننى اعتدت على وجود هذه المواكب اليومية لمعالى الوزير إلا أننى فى كل مرة أشعر بخوف وهلع واضطراب ، فحرس معالى الوزير ينظر إلىّ بشراسة وعيناه يخرج منها الشرر ، وأقول لكم الحق أننى ضعيف أمام حرس الوزير هذا ، وأخاف على نفسى لأننى لو تجرأت ومشيت خطوة بسيارتى فإن من حقه أن يشك فى أهدافى وأخلاقى وشخصى الضعيف ، ويعتبرنى مجرمًا أو سافلاً أو متواطئًا مع عصابات المافيا وبالتالى يطلق علىّ النار ويدمر سيارتى التى اشتريتها بكد كفاحى وتعب العمر ، ولن أستطيع شراء غيرها لأننى مواطن شريف أعيش من دخلى المتواضع ، ودخلى والحمد لله يكفى لأن آكل عيش واشترى الدواء وأصرف على زوجتى وحسب، والخوف أيضًا من حرس معالى الوزير أنه يمكن أن يطلق طلقات مسدسه أو بنادقه على جسمى الضعيف الواهن ، الذى أكل عليه الزمن وشرب ، وبالتالى يمكن أن يجعلنى فى خبر كان ، وأنا لا أرغب فى مزيد من الحياة « فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، ثم أنا أؤمن أيضًا بقول سليمان الحكيم : «باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس» ، لهذا فأنا إذا انتقلت إلى رحمة الله نتيجة ضرب حرس معالى الوزير ، فإننى سأستريح ، فالحياة أصبحت كئيبة غير مريحة ، وأنا لست

متشائما وإنما هو الواقع الذى يفرض نفسه علينا ، وقد أخذنا حظنا من الحياة ، لكن المشكلة فى مسئولياتنا ، فأنا أريد أن أنهى رسالتى فى الحياة على خير وجه ، وأشعر أن الرسالة لم تنته بعد ، والذى يغيظنى ويكاد يفرقعنى أننى إذا مت عن طريق رصاص حرس معالى الوزير لن تكون لى دية أو تعويض أو أى شىء ، لأن هناك قانونًا للطوارئ يعطى حرس معالى الوزير الحق فى قتلى ولو خطأ لمجرد أنه شك فى شخصى الضعيف واعتبرنى مجرمًا خطيراً ، وأنا المواطن البسيط الغلبان الشقيان .

والعبد لله يعتقد أن معالى الوزير لو سار موكبه دون ضجة ، وهوسة ، وصفافير ، وزمامير ، وقف عندك ، واركن سيارتك ، وهات رخصتك ، (أو طاخ طيخ طاخ) ، سيكون أفضل بكثير ، وسيكون له احترامه ، ولن يتعرض أحد له ، ويستطيع الناس أن يتنفسوا الصعداء وأن يشعروا أنهم مواطنون من الدرجة الأولى ، وأن يذهب كل موظف إلى مكتبه وعمله فى وقت مناسب ، بدلاً من (العطلة الفاضية) ، والوقوف فى طوابير السيارات لعدة ساعات من أجل معالى الوزير . . وأخيراً اسمح لى يا معالى الوزير أن أذكر لفخامتكم ومعاليكم هذا البيت من شعر الشاعر الفيلسوف إيليا أبو ماضى : «لا تكن مُرًا وتجعل حياة الناس مُرة » .

وعفواً معالى الوزير ، يا أى وزير .

وضاع المصيف يا ولدى

حلم العام

ذهبت إلى الإسكندرية فى إجازة لمدة أسبوع طلبًا لرحمة الله من حرارة القاهرة الساخنة التى أفقدتنى الكثير من ذاكرتى وصحتى وتوازنى النفسى والعقلى، فالحرارة وصلت فى القاهرة إلى درجات فلكية وكاد الناس يفقدون عقولهم وصحتهم ، كان الأمل أن أستريح مدة الأسبوع من عناء حرارة الصيف وكفاح الشتاء وتعب السنة كلها، ذهبت إلى شاليه الأسرة بالعجمى وهو مكان رائع على شاطئ البحر مباشرة ، وهو خاص بالصحفيين ، جلست بالملابس الخفيفة فى الشرفة الواسعة على الشاطئ، لم أصدق نفسى أننى أجلس على الشاطئ وأمام البحر، وكانت نسمات الهواء القليلة البخيلة تداعبنى وتنعش فؤادى وتشعرنى أننى إنسان ، وهذا المكان دائمًا يجدد نشاطى ويبعث الهدوء فى نفسى ، ولم ألحظ الزحام على الشاطئ أو أى شىء كان كل همى أن أستنشق الهواء العليل وأجلس فى استرخاء تام

من راحة الجسد ، فى اليوم التالى صباحًا استيقظت مبكرًا كعادتى فى الساعة السادسة صباحًا وجلست فى الشرفة مع بعض كتبى وأوراقى أنظر إلى زرقة المياه والأمواج البسيطة وكأنها أمواج صناعية، وظل المنظر الجميل البديع هكذا حتى الساعة التاسعة تقريبًا.

المولد الرسمى فى شاطئ العجمى والفرجة بجنيهين

بعد ذلك رأيت أفواجًا كثيرة تأتى فى جماعات وتذهب إلى الشاطئ، وتعجبت من يكون هؤلاء ؟ إن الشاطئ خاص بشاليهات الصحفيين ، فكيف يسمح لكل من هب ودب بالدخول إليه ، وعرفت أن السادة المسئولين الكرام يسمحون لأى إنسان بالدخول مادام قد دفع المعلوم ، والمعلوم هذا تذكرة دخول بجنيهين، وما هى إلا ساعة تقريبًا أو أقل ، وكان الشاطئ يعانى من الازدحام الشديد. . أطفال وشباب وشيوخ ورحلات خاصة (واللى ما يشترى يتفرج) ، فوضى ما بعدها فوضى ، وأصحاب الشاليهات ومنهم كبار الصحفيين ينظرون إلى هذه المأساة الحقيقية فى ألم شديد وتعجب من المسئولين الذين فتحوا الشاطئ لكل الناس ولم يحترموا وجودهم أو تملكهم للشاليهات ! ولم يأت هؤلاء بملابسهم أو بملابس البحر وحسب بل لقد أحضروا معهم كل شىء . . حلل المحشى وبوابير الجاز وبراد الشاى وأطباق وشوك وسكاكين وصوانى المكرونة

والحلوى وأجهزة لشىّ الأسماك، وتحول الشاطئ إلى مائدة عامرة بكل الأطعمة والحلوى والمشهيات، هذا بالإضافة إلى أدوات التسلية والطبل والزمر والراديوهات مرتفعة الصوت ، ثم شنفت آذاننا موسيقى الرقص البلدى والرزع والقهر، ومع أن الشاطئ يبعد عن شرفتى حوالى أربعين متراً أو أكثر إلا أن الطبل والزمر كاد يخترق أذنى ويسلب سعادتى، وحتى الهواء الذى كنت أستنشقه كان مغلفاً بروائح الطعام والأسماك واللحوم، وزاد الطين بلة أن جاءت موتوسيكلات البحر المسماة بالبانشى والطانشى والتى يقودها أطفال فى سنة ١٢ أو ١٣ سنة جاءت هذه لتزيد السيمفونية الشعبية إزعاجًا .. ولست أعلم من الذى اخترع هذه الموتوسيكلات التى تهدد السياح على الشاطئ وتهدد حياتهم وأرواحهم وصحتهم ، فهى تجرى بسرعة بين المصطافين الذين جاءوا بحثًا عن الهدوء والراحة فقضت على راحتهم وقتلت بعضم فعلاً وأصابت البعض الآخر بجراح ، وهذه البانشات أو الموتوسيكلات تمشى على الشاطىء على الرمل وتمشى على الأسفلت وتمشى بالليل والنهار والفجر ولا أحد يمنعها أو يرشدها إلى الصحيح المعقول، وبعد طبل وزمر النهار ودوشة الموتوسيكلات يرحل رواد الشاطئ وقد قلبوه إلى مقلب للقمامة بعد أن أكلوا وشربوا واستنشقوا الهواء العليل وحرمونا من حقنا فى استنشاق هواء نظيف ، ويأتى الهواء ليلاً ممزوجًا بروائح قمامة السادة

السياح الذين دفع كل منهم اثنين من الجنيهات ليتمتع بالبحر ويحرم أصحاب المكان منه، ولا تجد أحدًا تتحدث معه عن هذه السرقة العلنى والفوضى العارمة وقلة أدب الشباب الذى يتلفظ بألفاظ جنسية علنًا دون احترام أو أدب ، وتوقعت الاستمتاع بالهدوء ليلاً ولكن حتى هذا لم يحدث ، لأن الموتوسيكلات تجرى ليل نهار على الشاطئ بأصواتها المزعجة وكلاكساتها المرتفعة ، ثم كان من حظى السعيد أن يكون بجانبى موقف سيارات للشاليهات المجاورة ، وهذه تخرج أصواتًا أخرى رائعة موسيقية ، ويبدو أن كلاكسات السيارات فى المصيف لها طابع خاص موسيقى طويل مزعج، وهى لا تستخدم فى تنبيه الناس ، لكنها تستخدم أيضًا فى نداء الناس على بعضهم وتحيتهم ، والغريب أن هناك نوعًا من آلات التنبيه هذه لا يطلق الصوت فقط بل يسمعك صدى الصوت فتسمع الصوت أكثر من مرة، أما آلات الإنذار الموجودة فى معظم السيارات فهذه لها أصوات عجيبة تصرخ وتولول وتنبح وتعوى لمجرد أن يلمسها أحد ، أو مجرد أن تهتز الأرض من تحتها ، وهى تضيف إزعاجًا على إزعاج، وهذه لا حل لها إلا أن يعقد اتفاق (جنتلمان) بين أصحاب هذه السيارات والحرامية واللصوص حتى يمتنعوا عن سرقة السيارات، وبالتالى تنزع هذه الإنذارات من السيارات ، يحدث كل هذا وهناك قانون يمنع

الإزعاج ويعاقب صاحبه ومحدثه، ولكن القانون فى مصر دائمًا فى إجازة ، وهذا القانون الخاص بالإزعاج والذى يجرمه ويمنعه حصل على إجازة دون أجر منذ سنوات وسافر للعمل فى الخارج .

هكذا قضيت أسبوع المصيف بين السيمفونية المزعجة للمصطافين على الشاطئ الذين أخذوا حقى فى استنشاق هواء نقى وقلبوها رقصاً وطبلاً وزمراً . . وبين موتوسيكلات الأطفال الأكثر إزعاجًا، وصياح الأطفال والشباب وألفاظهم النابية ، وصياح السيارات وأجهزة الإنذار؛ لم يعد المصيف مصيفًا ، وبعد عودتى من المصيف شعرت أننى بحاجة شديدة إلى الراحة والهدوء والسكينة ، ونظرت لابنى ناجى متبسمًا وقلت له : وضاع المصيف يا ولدى ! !

المحمول والمخبول

أصبح من المناظر والمشاهد العادية فى الشارع المصرى أن تجد الفتيات والفتيان ، بل والأطفال الكبار وقد حزموا وسطهم بحزام عريض ، تمامًا كما كان يفعل (باعة الكرشة) فى الماضى ، وفى أسواق اللحم الآن ، ومن هذا الحزام العريض يتدلى التليفون المحمول، بدلاً من سكين الذبح أو (الكذلك) كما يطلقون عليه فى المذبح.

فى البداية لم أكن أعرف ما هذا الذى يتدلى من وسط الشباب ومن الحزام إياه، لكن مع السؤال والتكرار عرفت الجهاز السحرى ، أو التليفون المحمول، فالتكرار يعلم الشطار أو يعلم الـ . . . كما نقول فى الأمثال ، وساءلت نفسى عن سبب حمل الفتيان والفتيات بل والأطفال لهذا الجهاز الجديد ، أو اللُعبة المسلية؟ ولم أجد الإجابة المقنعة أو الشافية ـ للأسف ـ وكانت إجابة البعض : حتى يستطيع الفتى أو الفتاة الاتصال بـ (بابى أو مامى) وقت اللزوم !! . .

وإجابة أخرى : حتى يسأل الفتى أو الفتاة (مامى وبابى) عن الطعام هل استوى ونضج أم لا ؟

بالعظمة والافتخار تتخلف الشعوب النامية

الواقع أن التليفون المحمول أصبح منتشراً بشكل غريب على مجتمع نام فقير بين الكبير والصغير والرجال والنساء والعاقلين والمعتوهين ، والمهبول والمخبول ، حتى السيدات الفضليات اللائى لا يعملن ويعشن فى بيوتهن فقط ، أصبحن يملكن التليفون المحمول ويتحدثن فيه وهن فى بيوتهن إلى صديقاتهن والبقال والخضرى والجزار ، مع أن التليفون الآخر موجود فى البيت كما هو ، ولكن التليفون المحمول موضة وهو يُشعر من يتحدث منه بنوع من العظمة والفخار، فهو أحدث ما أنتجته التكنولوجيا العالمية ، وهذه مصيبة الدول النامية أو بصراحة الدول المتخلفة، استخدام أحدث أنواع التكنولوجيا فى غير هدفها ، ودون أهمية أو فهم لأسباب اختراع الجهاز. والتليفون المحمول أصبح مع كل مخبول ، مع أنه يتكلف كثيراً ومصاريفه باهظة ، فالجهاز ثمنه لا يقل عن أربعمائة جنيه ، ثم هناك ثمن الخط نفسه ، وفوق هذا وذاك هناك مصاريف شهرية تبعًا للاستهلاك وعدد المكالمات التى قد تصل إلى ألف جنيه أو خمسمائة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، يعنى العملية ليست سهلة أن تملك تليفونًا

محمولاً ، لكن مصيبة الشباب والكبار والصغار فى كل الدول النامية هى التهافت على كل جديد مهما كان ثمنه لا يتفق ودخل الفرد أو الأسرة.

أعرف أشخاصًا لا يصل دخلهم إلى مائتى جنيه ويعلقون فى الحزام إياه التليفون المحمول كنوع من العياقة والعظمة ومجاراة العصر، فهل هذا معقول يا ناس؟ أن أفقر نفسى بنفسى وأخصم من دخلى جزءًا كبيرًا وأحرم نفسى ومن أعول من الضرورات الأساسية كالطعام والشراب والملبس من أجل العياقة والمنظرة ؟ أعرف فتاة مطلقة - بل فتيات وسيدات مطلقات - فى حاجة إلى المال ، لأنهن يَعُلن أطفالاً ، ومع ذلك اشترين تليفونًا محمولاً مع أن دخلهن لا يكفيهن ، والتليفون هذا ليس له أهمية خاصة بالنسبة لأعمالهن ، أى أنه ليس ضروريًا ويمكن الاستغناء عنه، فهل هذا معقول يا أهل العقول؟ وهناك حالات كثيرة مماثلة . هناك أيضًا من لا يعملون ولا ينتجون ولا يعرفون شيئًا فى الحياة ويملكون التليفون المحمول، ولا تعرف السبب ، مجرد مخبول أو مهبول أو معلول يملك المحمول.

المحمول مهم .. ولكن لمن ؟

لا شك أن التليفون المحمول ضرورة بالنسبة لبعض الأعمال مثل رجال الشرطة والأطباء والوزراء والسفراء والسياحة ، وفى نفس

الوقت غير ضرورى لمعظم الناس ، ومن المضحك أن يتسرب إلى سمعك فى المكتب أو فى الشارع أو فى سيارة التاكسى أو فى أى مكان مكالمات تليفونية عبيطة ساذجة :

« هالو . . هاى مامى بتعملى إيه . . طبخت إيه النهاردة ؟ المهم لا تنسى السلطة والمايونيز . . وأخبار المحشى إيه ؟ . . »

« هالو . . أيوه يا سيدة . . حد سأل عنى ، أخبار الأكل إيه ؟ ماتنسيش الملح زى كل مرة . . »

« هالو هاى حبيبتى إزيك . . إيه أخبار الشلة ؟ متى أراك ؟ بكره . . محاضرات إيه سيبك منها . . أشوفك أمام المدرج ونذهب إلى أى مكان هادئ وأشرح لك كل المقرر . . ومقرر السنة اللى جاية كمان . . »

« هالو بابى أنا فى شارع عماد الدين وعملت حادثة مع سيارة أخرى تقودها سيدة ، تعال بسرعة لأنى لا أعرف ماذا أفعل وليس معى رخصة قيادة ، ورخصة السيارة نسيتها فى البيت . . السيدة التى تقود سيارتها فاقدة الوعى ونقلتها الإسعاف . . »

« هالو هالة حبيبتى إزيك . . شربت اللبن . . أكلت الشيكولاته . . العبى شوية بلعبك إلى أن أحضر . . باى . . »

« هالو هاى صفوت إيه أخبارك . . أراك اليوم فى النادى . . يا سيدى تعال نضيع وقت سوى، ونشوف لنا بنتين حلوين يسلونا . . ح أستناك . . باى . . »

مكالمات عبيطة هايفة صايعة لشباب لا يعرف المسئولية، ولأن «بابى ومامى » مقتدرين ، فقد اشتروا لهم المحمول حتى تكتمل الوجاهة ، والهيافة ، ولا أستطيع أن أحكم على كل شبابنا هكذا، فهناك شباب مسئول ناجح يُفرح القلب ويُطمئن على المستقبل ، لكن المشكلة أو المصيبة أن الشباب «الهايف» ، ابن الناس ، كما يعتقد نسبته أكثر من المجتهد الناجح المسئول .

أضرار المحمول الصحية

المعروف علميًا أن التليفون المحمول له أضرار صحية جسيمة بفضل الإشعاعات التى يبثها ، ومن هنا فإن منظمة الصحة العالمية تطالب بعدم استخدامه إلا فى الضرورة ، وسيأتى اليوم الذى يكتب عليه نفس العبارة التى تكتب على علب السجائر : « التليفون المحمول ضار جداً بالصحة » .

الواقع أن المسئولية أولاً وأخيرًا تقع على الوالدين أو أولياء الأمور الذين يشجعون أبناءهم ، ومنهم الأطفال ، على حمل هذا التليفون

المحمول ، ويبررون ذلك حتى نطمئن عليهم ، وأسألهم بدورى كيف كان آباؤنا يطمئنون علينا ؟ وكيف كنا نطمئن على أطفالنا ؟

إن حبنا لأبنائنا يدفعنا إلى المحافظة على صحتهم وعدم تشجيعهم على حمل التليفون « المشبوه» المحمول الذى يحمل السم والمرض إليهم ، ثم هل نضمن مستقبل أبنائنا فى عملهم ومستقبلهم حتى يصرفوا على المحمول بجانب مصاريف الحياة الباهظة المرتفعة الأسعار؟ .

إننا يجب علينا معرفة أن هذا الجهاز الصغير ، ـ التليفون المحمول ـ قد اخترع من أجل أعمال ومهام ضرورية ، ولأجل أن يحمله المسئول لا المخبول ولا المهبول ولا المعلول ولا المخلول .

يا مطرة رخى رخى

يدو أن السحب فوق القاهرة والجيزة خرجت عن لياقتها وعاداتها وآدابها وتراكمت وهطلت الأمطار بشدة لمدة ساعة أو أكثر قليلاً يوم الجمعة ٨ ديسمبر لعام ٢٠٠٠م. وهذا تصرف غريب على السادة المسئولين أن تمطر السماء فى شهر ديسمبر فى الشتاء ، وفوجئ الجميع بأن القاهرة والجيزة غرقت فى « شبر مية »، وكان حظ العبد لله أن يكون مدعوًّا على الإفطار خلال شهر رمضان الكريم ، وكانت الدعوة سخية طرية ، استعد لها صاحبنا قبلها بأيام حتى يأكل ما لذ وطاب من أطعمة رمضان الشهية وحلواه اللذيذة الطرية ، من كنافة وقطايف ومهلبية ، ولكن المطر اللعين الذى فاجأنا كالعفريت أضاع علىّ الوليمة والإفطار الرمضانى الكريم الذى أنتظره من السنة للسنة ، فقد خرجت بسيارتى لأذهب إلى مكان الإفطار فى مصر الجديدة ، وأنا أسكن فى العباسية ، أقصد حى العباسية حتى لا يساء الفهم ، والمسافة بين بيتى والمكان الذى سأتناول فيه الإفطار عشرة كيلو مترات

أو يزيد قليلاً، خرجت من بيتى الساعة الرابعة ، وموعد انطلاق مدفع الإفطار فى الخامسة ، وقلت لنفسى أذهب مبكراً حتى أستمتع بالجلوس مع صديقى الداعى وأسرته .

كأنه يوم الحشر

ولم أكد أخرج من البيت إلى الشارع حتى انتابنى شعور غريب ، زحام عجيب ، سيارات الأتوبيس والتاكسيات والملاكى وعربات الكارو والدراجات تملأ الشارع وتحاول أن تقفز فوق بعضها ، كأنه يوم الحشر ، فالزحام لا يتحرك والكل متجمد فى مكانه كأنك تنظر إلى علبة سردين، أو قل علبة مربى ، ثم سيمفونية شاذة مزعجة صاخبة من أصوات الكلاكسات ونهيق الحمير ، وصهيل الخيل ، وأصوات قائدى السيارات ترتفع بألفاظ غير مهذبة ، ثم مشاجرة بين اثنين منهم ، كانت نتيجتها الضرب والدماء ، و«اللهم إنى صائم» ، وأبحث عن رجل مرور واحد فلا أجد ، ـ « فص ملح وداب » ـ ، المياه أغرقت الشوارع كلها ـ الرئيسية والفرعية ـ وكانت السيارة تسير الهوينى وسط برك المياه ، وكأنها سيارات برمائية ، وكأن المطر لا يهطل فى مصر ، ولذلك لم يتنبه السادة المسئولون عن شوارع القاهرة وميادينها إلى احتمال هذا الوضع ، المياه حولت الشوارع إلى برك وترع ومستنقعات ولا توجد بالوعات على جانبى الشارع ، ولم يظهر

أى واحد من المسئولين عن النظافة أو الصرف أو الطوارئ أو رئيس الحى أو موظف البلدية ، أو عمال النظافة ، أو أى مواطن يحاول أن يحل هذه الفزورة أو المعادلة الصعبة ، مع أننا نقرأ كل يوم تصريحات للسادة رؤساء الأحياء ، ورؤساء مجالس المدن ، ورؤساء البلدية ، وهم كثيرون . . فهناك رئيس حى شرق ، ورئيس حى غرب ، ورئيس حى جنوب ، ورئيس حى شمال ، ورئيس حى فوق ورئيس حى تحت ، ورئيس هيئة النظافة ، ورئيس هيئة الصرف الصحى ، ورئيس هيئة المياه ، ورئيس هيئة التجميل، أى وا« هناك هيئة للتجميل ويبدو أنها لم تبدأ أعمالها بعد ، - مع أنها تعمل منذ سنوات وسنوات -، ولكنها مازالت تدرس وتخطط لمستقبل القاهرة الكبرى سنة ثلاثة آلاف ، وهذا مطلوب بالطبع ، وهى استراتيجية مهمة للمستقبل ، أما لو قامت القيامة قبل ذلك ، فهذا حظ ، وكل شىء فى الدنيا حظ ، ألم نغنى ونقول : « دنيا حظوظ ، حظوط الدنيا »، ويبدو أننى كنت مخطئًا عندما توقعت حضور المسئولين عن الشوارع الساعة الرابعة يوم الجمعة ، فيوم الجمعة عطلة رسمية . ثم الساعة الرابعة قرب وقت الإفطار والناس صائمة وكلها فى بيوتها انتظاراً لمدفع الإفطار ، وساءلت نفسى : ماذا لو حدث هذا المطر فى يوم آخر غير الجمعة - وهو أجازة رسمى ؟!

ضاعت الوليمة بسبب المسئولين

المهم أخذت السيارة تعوم فى شوارع القاهرة بين مياه المطر والطين حتى وصلت بعد مدفع الإفطار بساعة ونصف ، وطبعًا كان أهل البيت قد تناولوا إفطارهم بالهناء والشفاء ، وأخذت أقدم أسفى الشديد على تأخيرى ، ولكنهم والحمد لله قدروا الموقف ، وأعدوا مائدة جديدة لنا ، لكن الرغبة فى الطعام والجوع قد انتهيا فقد انسدت نفسى والحمد لله من حال الشوارع « المنيلة » والزحام القاتل ، والأخلاق غير الحميدة التى يتعامل الناس بها مع بعضهم البعض ، وكل واحد جعل من الصوم شماعته التى يعلق عليها أخطاءه وقلة أدبه وانحطاط معاملته للآخرين ، مع أن الصوم المفروض أنه يفعل عكس ذلك ، فهو يعلم الصبر والعطف والاحتمال وحب الغير ، وضاعت الوليمة التى أنتظرها كل عام بفارغ الصبر بسبب المسئولين عن شوارع القاهرة الساحرة ، الذين يصرحون كل يوم من على مكاتبهم بأن كل شىء « عال العال » ولا ينزلون إلى الشوارع أو المواقع لممارسة عملهم الرئيسى . . وحسبى الله ونعم الوكيل فى هؤلاء الكسالى والدراويش ، وعوضنا الله خيراً عن تنابلة السلطان الذين حولوا شوارعنا إلى جحيم فى الشتاء بسبب الأمطار التى غافلتهم وهطلت فى الشتاء على غير عاداتها . . « ويا مطرة رخى رخى على قرعة هؤلاء المسطولين » ، آسف أقصد المسئولين .

ما زال المصريون فراعنة

على الرغم من مرور آلاف السنوات على الحضارة المصرية القديمة، وتغير النظم السياسية والاجتماعية والدينية ، إلا أن المصريين مازالوا فراعنة يحاكون الأجداد القدماء فى عاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم ، بل وفى لغتهم وأسمائهم ، فنحن نستخدم كلمات كثيرة فى لغتنا العربية ذات أصل فرعونى قبطى ، وكذلك الأسماء ، والطريف أنها قد تكون هى هى بغير تغيير ولا تحريف ، وهذا يدل على مدى تمسكنا بتاريخنا وحضارتنا القديمة الرائعة ، حتى دون أن ندرى ، يقول الدكتور « محرم كمال » فى كتابه « آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية » ـ الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٣ :

« درج كثير من الناس على الظن بأن جميع مظاهر حضارتنا الحالية ومقوماتها ، بما تشمله من تقاليد وعادات وآداب واجتماعيات، ترجع إلى أصل عربى إسلامى وحسب ، ولكننا قلنا ومانزال نقول أن الحقيقة التاريخية تخالف ذلك إلى حد كبير ، فهناك من الأدلة

والقرائن ما يثبت لنا أن المصريين القدماء الذين سكنوا مصر القديمة منذ آلاف السنين لا يزالوان أحياء يعيشون بأرواحهم فى أبنائهم المصريين الحاليين . نحن لا ننكر أن أدوار التاريخ المختلفة قد غيرت لغة البلاد ودينها جملة مرات ، ولكن الغزوات التى توالت على مصر لم تنل من مصرية سكانها . . » .

الطفل المصرى يرضع لغة الفراعنة

ويسرد الكاتب فى كتابه نماذجَ كثيرة من العادات والتقاليد والكلمات والأسماء الفرعونية والقبطية التى مازلنا نستخدمها ونعرفها إلى اليوم ، ولنبدأ مع ميلاد طفل مصرى الآن ، أول كلمة يسمعها من أمه وهى ترضعه «مَمّ» وكلمة « امبو» وهما كلمتان قبطيتان أخذتا عن اللغة المصرية القديمة ، فكلمة « مَمّ» مأخوذة عن القبطية «موم» والهيروغليفية « أونم» بمعنى كُلْ ، و«امبو» عن كلمة «امبمو» القبطية بمعنى اشْرَبْ ، فإذا شعر الطفل بألم سألته أمه وهى تتحسس مكان الوجع «واوا» وهذه الكلمة بجميع حروفها هيروغليفية معناها ألم أو وجع أو ورم، وإذا أمسك الطفل بشىء قذر نهرته أمه قائلة «كخ» أو «كخة» ، وهى كلمة قديمة معناها قذارة، أما عندما يشتد عود الطفل ويبدأ فى التحرك والمشى تقول له أمه « تاتا» لتشجعه على المشى ، والكلمة هيروغليفية ومعناها «امشِ»، وقد استخدمت فى اللغة العربية

كثيراً حتى فى أغنياتنا نَقول : « تاتا خط العتبة . . تاتا حبة حبة» .

لا تخلو حياة الأطفال من الشقاوة التى ترهق الآباء والأمهات فيحاولون تخويف أطفالهم بإحضار « البعبع» ، وكلمة « بعبع» هى كلمة قبطية أصلها « بوبو» وهو اسم عفريت مصرى استعمل فى العزائم السحرية واتخذوه لتخويف الأطفال ، كذلك كلمة « بيخ» الذى تستخدم فى التخويف الآن هى قبطية ومعناها عفريت أو شيطان. والطفل الذى يبكى دائمًا توبخه أمه قائلة : « هو أنت تملى تأوأكده . . » وكلمة تأوأ قبطية الأصل أصلها « أوبيه» أى يعاكس .

هكذا يولد الطفل المصرى فترضعه أمه لغة أجداده التى تظل فى ذاكرته طوال حياته ، حتى يكبر ويتزوج ويساهم بدوره فى تثقيف الأجيال الجديدة بنفس الطريقة .

اللغة الفرعونية وأثرها فى الأسماء عند المصريين

فى مجال الأسماء أيضًا تبرز فرعونية المصريين واهتمامهم بتراث أجدادهم ، فاسم « مينا» هو اسم الملك «مينا» أول ملوك الفراعنة ، واسم بانوب هو هيروغليفى وقبطى ومعناه « عبد الإله أنوبيس» وهو إله التحنيط عند القدماء ، اسم «باهور» قديم أيضًا ومعناه (عبد الإله حور) وهو إله الشمس ، « باخوم» اسم فرعونى معناه عبد تمثال

الإله، «بشاى» قبطى معناه عيد ، « شنودة» قبطى ومعناه عبد الله أو عطا الله ، والطريف أن أقباط مصر الذين دخلوا فى الإسلام ترجموا أسماءهم القبطية إلى اللغة العربية ترجمة تكاد تكون حرفية ، فمن كان اسمه « بشاى» سمى نفسه «عيد» ، ومن كان اسمه «بشوى» سمى نفسه «بخيت» ، ومن كان اسمه « شنودة» سمى نفسه عبد الله أو عطا الله .

هناك أسماء كثيرة للمدن تعود أيضًا إلى تاريخنا القديم مثل : «بولاق الدكرور» وهو حى معروف فى الجيزة ، وهو اسم هيروغليفى وقبطى ، (بلاق دكرور) وهو مكون من كلمتين: «بلاق» ومعناها جزيرة و « دكرور» ومعناها ضفادع ، فيكون معنى الاسم : جزيرة الضفادع . واسم «سقارة» هو اسم قديم نسبة للإله « سكر» أحد آلهة الموتى عند المصريين القدماء ، و« دمنهور» اسم قديم معناه مدينة الإله حورس ، و«الفيوم» اسم هيروغليفى ومعناه البحر لأن مياه الفيضان كانت تغمرها ، و«طهطا» معناه «معبد الأرض»، و«أخميم» معناه مدينة الإله « مين» ، «بلامون» ومعناه جزيرة الإله أمون ، مدينة «الزقازيق» عاصمة محافظة الشرقية الاسم مأخوذ عن القبطية «جقاجيق»، اسم « شبرا» قبطى الأصل ومعناه الحقل أو المزرعة ، ولعل هذا يفسر لنا أسماء شبرا الكثيرة مثل شبرا البلد وشبرا العنب

وشبرا مصر وشبرا النملة ، اسم « ميت» معناه الطريق وله عدة استخدامات مثل ميت غمر ، ميت رهينة ، «أسيوط» اسم قديم «سيوط» كانت عاصمة الولاية الثالثة عشرة من ولايات الوجه القبلى، أما « المنيا» فأصل اسمها الهيروغليفى « منت» وهو مختصر من الاسم الكامل القديم «منيت خوفو» ومعناه مدينة مرضعة الملك خوفو، وهذا الاسم صار بالقبطية « منى» ومنه اشتق الاسم الحالى المنيا ، ومن أسماء المدن القديمة المعروفة حتى الآن « شطانوف» ، «طره» ، « حلوان» ، « أسوان» ، « إسنا » ، « أرمنت» .

الفرق بين اللغة الهيروغليفية والقبطية

ربما يتساءل الإنسان عن الفرق بين اللغة الهيروغليفية واللغة القبطية؟ وقد أجابنى على هذا السؤال العلامة «الأنبا غريغوريوس» - أسقف الثقافة والدراسات العليا بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية - فقال :

« اللغة القبطية هى بعينها اللغة المصرية القديمة كما كان المصريون القدماء يتكلمونها وينطقونها ، وقد حافظت عليها الكنيسة القبطية فى طقوس صلواتها وكتبها ومخطوطاتها، بل وعاشت اللغة القبطية فى اللهجة العربية الدارجة المستخدمة فعلاً كما يتحدث بها جميع المصريين مسيحيين ومسلمين ، وهذه اللهجة العربية الدارجة تعيش فيها أكثر من تسعة آلاف كلمة قبطية . . » .

وقد ذكر «الأنبا غريغوريوس» بعض هذه الكلمات وأهمها فى بحث خاص ومنها : « دردشة» كلمة قبطية ومعناها بالعربية كثرة الكلام بغير فائدة ، « برضه كده» معناها بالعربية أى هكذا ، الأصبع «مدوحس» معناه بالعربية المتورم ، «كانى ومانى» كلمتان قبطيتان معناهما سمن وعسل ، كلمة « هوسة» نستخدمها دائمًا للتعبير عن ضيقنا من الأصوات المرتفعة فنقول « بلاش هوسة» وهى كلمة قبطيَة تعنى التسبيح الذى يجب أن يكون بصوت مرتفع .

كلمة « أيّوحا» التى يتغنى بها الأطفال خلال شهر رمضان الكريم فيرددون . . « وحوى يا وحوى ايوحا » . . ومعنى « ايوحا» «القمر» باللغة المصرية القديمة ، أما معنى الأغنية فهو « يا فرحتى بقدوم القمر» . اسم النيل يرجع إلى « نى يارو» فى القبطية ومعناها المياه ، وحورت إلى النيل ، كلمة « دكة» قبطية معناها بالعربية مقعد أو أريكة، ومن بين آثار اللغة المصرية والقبطية « الحاء» المستخدمة للمستقبل كمثل قولنا . . « أناح أسافر . . أوح أنام» ، أى سوف أسافر ، أو سوف أنام ، فهى ترتد إلى الكلمة المصرية « حِر» لتفيد المستقبل .

من الكلمات القبطية الطريفة التى مازلنا نستخدما حتى الآن ودائمًا هى كلمة « ليلِى» التى يبدأ بها المطربون دائمًا أغنياتهم فيقولون : « يا

ليلى يا عينى يا . . » ، كلمة ليلى هذه معناها « فرح وابتهاج»، فتكون الجملة على بعضها . . «لَيلىَ يا عينى» « افرحى أو ابتهجى يا عينى» .

نعود إلى كتاب الدكتور محرم كمال « آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية» الغنى بالكلمات والعادات والتقاليد والأسماء الفرعونية القبطية التى مازلنا نستخدمها ونحتفى بها إلى يومنا هذا ومنها : «شونة» لفظة قبطية تنطق « شونى» ومعناها مخزن غلال ، عبارة «حتتك بتتك» عبارة قبطية هيروغليفية وتتكون من لفظين هما «حات» ومعناه قلب أو صدر ، و«بات» ويعنى ضلوع أو عظم ، ونحن نسمع دائمًا تعبير تقليدى . . « الضيوف نزلوا على الأكل حتتك بتتك ما خلوش حاجة . . » أى أنهم تناولوا كل الطعام فأكلوا اللحم والعظم أيضًا . . ، عبارة « جاك أوى يأويك» كلمة «أوى» قديمة معناها الويل أو الحسرة . . كلمة « صهد» قديمة ومعناها « نار أو لهيب» ، نقول : « الجو صهد» وهكذا . . ونقول أيضًا : « الفجر شأشأ» والكلمة القبطية تنطق « شاهشا» ومعناها « سطع» أو «أنار» ، يخرج الأطفال عند هطول الأمطار مرددين « يا نطرة رخى رخى»، وكلمة «رخ» معناها «انزلْ»، عبارة « الأولاد سخموا هدومهم» كلمة «سخم» قبطيَة بمعنى «لوث » أو « نجس» . ، عندما يلعب اثنان « الكوتشينة» أو

«الدومينو» ويحاول أحدهما مغالطة الآخر أو هزيمته دون وجه حق يقول الآخر « احنا حنحمرأ واللا إيه» ، وكلمة «حمرأ» قبطية معناها «تغيير الكلام والبعد عن الحقيقة» ، كلمة « واحة» مصرية قديمة تنطق بالهيروغليفية «وحات» وفى القبطية (واحة) ، وهى تستخدم بنفس المعنى فى العربية الآن ، فالواحة بقعة من الأرض الخضراء المورقة فى وسط الصحراء .

فى مجال الطعام مازلنا ننطق أسماء الأطعمة القديمة كما هى ، فنحن نقول « الجبن الحلوم» وكلمة « حلوم» قبطية معناها جبنة ، فكأننا نسمى الجبن مرتين الأولى بالعربية والثانية بالقبطية وهو نفس المعنى ، الفول المدمس معناه الفول المطمور ـ المستوى فى الفرن ـ «المتمس» كلمة قديمة حورت إلى المدمس. « البيصارة» طبق شهى لكل المصريين واسمها القديم (بيصورو) ومعناه الفول المطبوخ ، ونحن الآن وبخاصة فى الصعيد إذا نادينا شخصًا فإننا نسمعه يرد علينا بلفظة « ها» وهى قبطية أصلها « أها» وهى حرف جواب بمعنى نعم. كلمة «كوش» التى تطلق على الطماع فنقول « الراجل ده كوش على كل حاجةَ » والكلمة قديمة معناها تركه لا يملك شيئًا. ونحن ندعو للموتى قائلين : «الله يبشبش الطوبة اللى تحت رأسه»، وكلمة «باش» هى قبطية ذات أصل هيروغليفى ومعناها لان أو طرى ، نقول

العيش باش خلاص . ونسمع كثيراً كلمة « بوش» فيقول الرجل فى حالة يأس ، « يا خسارة تعبى كله طلع بوش» فلفظة بوش هذه قبطية معناها « سلب أو نهب أو فارغ أو معدوم» ، وهذه الأسماء تدل على معناها، كما هى «زباطة» بلح، «لبشة» قصب، «مشنة» عيش ، «وقية» نوع من المكيال .

تقاليد الأفراح وشعائر الموتى والوظائف الحكومية عادات مصرية استمرت معنا

يتقل بنا المؤلف من الكلمات والأفعال إلى العادات والتقاليد الفرعونية والقبطية القديمة التى مانزال نمارسها حتى اليوم ، فالمغنى البلدى لدينا والمقرئ وهو يتلو القرآن كلاهما يضع إحدى يديه على خده وهو ينشد ، فهذه العادة وردت لها عشرات الرسوم فى الآثار المصرية القديمة ، بل إن نفس الزمارة (المزمار) التى يستعملها المغنون فى القرى هى نفس التى كانت تستعمل فى عصور الفراعنة ، وحتى التصفيق بالأيدى لمصاحبة الغناء أخذناه منهم ، وأيضًا «الطرقعة» بأطراف الأصابع عند الرقص ورثناه عنهم ، وكذلك استخدام الراقصات للطبلة والرق والطار ، «و«الماكياج» من كحل وأصباغ ، أما كرم المصريين وإسرافهم فى الولائم والأفراح فهما موروثان أيضًا، فلطالما شهدت قاعات منازل الأثرياء فى عصور الفراعنة ولائمَ رائعة

كان يدعى إليها عشرات الصحاب والخلان وتتخللها الموسيقى والرقص والغناء . وكان المصريون لا يدخرون وسعًا ، كما نفعل اليوم ، فى تقديم الكميات الوافرة من اللحوم وألوان مختلفة من ألذ أنواع الطعام، إذ كانت تقاس عظمة الداعى بكمية ما يقدمه من طعام، فإذا حان وقت الطعام غسل كل مدعو يده قبل الأكل، فكان يتقدم الضيف إلى رجل يصب على يديه الماء من إبريق فى طشت يشبه كلاهما الطشت والإبريق اللذين نستعملهما حتى اليوم كل الشبه، وبخاصة فى الريف ، فإذا فرغوا من تناول الطعام غسلوا أيديهم مرة ثانية ، تمامًا كما نفعل اليوم .

من العادات التى ورثناها عن أجدادنا القدماء الزواج المبكر والإكثار من النسل ، وفى هذا يقول الحكيم المصرى « آنى» فى وصية إلى ابنه :

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير حتى تعطيك ابنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك وتعيش وأنت تراه وقد اشتد وأصبح رجلاً ، إن السعيد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه . . » .

نردد فى أمثالنا دائما « إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه»، وهو تعبير

يدل على ضرورة التمسك بالوظائف الحكومية ، وهى عادة موروثة عن القدماء ، فقد ورد فى النصوص الفرعونية صورة خطاب كتبه أب لابنه يقول فيه : « بلغنى أنك أهملت دراستك وسرت وراء ملاهيك، فهل تريد أن تكون فلاحًا تشقى وتكدح ؟.. لا تكن فلاحًا ، ولا تكن جنديًا ولا تكن كاهنًا ، بل كن موظفًا يحترمك الجميع ويمتلئ منزلك خدمًا وحشمًا وتتربع فى مجلس الثلاثين إلى جانب رجال البلاط . . » .

فى عصر الخصخصة الآن لا تصلح هذه النصيحة بالطبع ، ومع ذلك نجد بعض شبابنا مازال يبحث عن الوظيفة الحكومية تمامًا كما كان يفعل ويفضل القدماء .

إذا انتقلنا إلى العادات والتقاليد الخاصة بالأحزان والموت ، فلا يستطيع الكاتب إلا أن يقول : ما أشبه اليوم بالبارحة ، فمعظم عاداتنا اليوم هى محاكاة لأجدادنا الفراعنة ، وبخاصة عند أهل الريف، فالحزن الشديد على الميت والصراخ والعويل وترك الرجال لحاهم ، وتلطيخ النساء رءوسهن بالطين ووجوههن « بالنيلة» ـ نبات أزرق ينبت على نهر النيل ـ واستدعاء أو تأجير الندابات لسرد محاسن وأهمية الراحل الكريم ، والاحتفال باليوم الثالث ، وصرف الروح ـ كما يفعل الأقباط اليوم ـ والأربعين ، والسَنة ، ونحر

الذبائح تحت نعش الفقيد ، ووضع الزهور عليه ، كل هذه مظاهر فرعونية نمارسها ونتمسك بها حتى اليوم ، ثم زيارة القبور وشراء الفاكهة والفطير وألوان الطعام الأخرى لتوزيعه صدقة على روح الميت هى هى نفس التقاليد القديمة ، بل إن اسم « الطلعة» أى زيارة القبور هى نفس التسمية القديمة ، فإن كلمة « برت» الهيروغليفية معناها بالعربية «الطلعة» أو الخروج إلى المقابر ، وكذلك تعبير صدقة على روح فلان الذى نستخدمه الآن هو ترجمة حرفية دقيقة لعبارة « حتب ـ ن ـ كا ـ ن » ، من عاداتنا الطريفة الآن ، والتى يعتبرها البعض جهلاً وتخلفًا ، كسر قلة أو إناء وراء أى ضيف ثقيل بعد خروجه من المنزل حتى لا يعود مرة ثانية ، وهذه عادة قديمة خاصة بالميت ، فقد كان أجدادنا الفراعنة يخشون أن تعود روح الميت إليهم فى الليل أو النهار فتخيفهم وتفزعهم ، أو تتراءى لهم فى أحلامهم فتعذبهم وتقلقهم ، من هنا كانوا يكسرون إناءً خلف الميت عند خروجه من البيت حتى لا يحدث ذلك .

أعياد فرعونية قديمة نحتفل بها الآن

من أشهر الاحتفالات الفرعونية القديمة التى مازلنا نحتفل بها رسميًا وشعبيًا فى مصر الآن « شم النسيم» ، و«عيد وفاء النيل» ، وشم النسيم هو عيد الربيع والانطلاق والألوان الزاهية التى نلون بها البيض تقليداً لجمال الطبيعة ، ونتناول فيه السمك المملح« الفسيخ

والسردين» وهو طعام مصرى فريد ، وكذلك البصل والملانة والليمون، وهنا يحضرنى قول أبى التاريخ «هيرودوت» عن أهمية البصل والليمون الذى يزرع فى مصر، فيقول :

« عجبت للمصريين كيف يمرضون ولديهم الثوم والبصل والليمون» . هكذا يعيش الفراعنة فينا ، ونعيش معهم فى ترديد لغتهم فى حياتنا اليومية ، ونمارس عاداتهم وتقاليدهم إلى الآن ، ولمَ لا وقد قدموا للبشرية كلها أول حضارة للإنسان، هذا غير العَلوم المختلفة والاكتشافات والدواء والنظريات التى مازال العالم يدرسها ويبحث فيها؟

الفرعونية تغزو اللغة الإنجليزية

ولم تدخل لغة الفراعنة فى لغتنا العربية وحسب ، بل إنها دخلت أيضًا اللغة الإنجليزية ، ففى معجم الحضارة المصرية القديمة ، الذى نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦ ، تأليف مجموعة من علماء المصريات الأجانب ، وعلى ص ٢٩٢ نجد بعض الألفاظ المصرية القديمة التى دخلت اللغة الإنجليزية مثل «مصر Egypt ، فرعون Pharaoh ، واحة Oasis ، أبنوس Ebony ، النطرون Natron ، البازلت Basalt ، العنقاء Phoenixs ، الورق Paper ، أبو قردان Ibis ، الكيمياء Chemistry » .

ألم أقل لكم ، ما زال المصريون فراعنة ، ولنا أن نفخر ونعتز ونباهى الأمم بذلك !